هاشم علي محسن

الحرب الرابعة

و

المقياس العلمي لتحديد طابع الحرب

هَاشِم عَلي محِسن

الحرب الرابعة

المقياس العلمي لتحديد طابع الحرب

حقوق الطبع
محفوظة للمؤلف

الاهداء

إلى الجنود والفدائيين والضباط البواسل، الذين أَستشهدوا في سبيل

صنع بطولة عبور قناة السويس و اقتحام خط بارليف و قمم جبل

الشيخ و هضاب الجولان ، و الذين كادوا أن يلحقوا الهزيمة بالعدو

الصهيوني ، لولا تخاذل القيادات المستسلمة وتواطؤها !

هـ. ع. م.

المقـــدمة

اولا - هذا الكتاب ، الذي اقدمه للقارىء العربي ، لا يعدو عن كونه مجموعة مقالات أو بتعبير ادق ، مجموعة فصول يكاد كل منها يشكل موضوعًا قائمًا بذاته ، بل يمكن لو توفر لدي الوقت ان يكون كتابا . فالفصل الاول يمكن تبويبه لعدة فصول تتعلق بالحرب و بطبيعتها ، و الامر نفسه ينطبق على بقية الفصول ، وخاصة الفصل الثاني ، أذ انه ملخص لبعض فصول كتابي عن « الثورة الوطنية الديمقراطية » ، الذي اعددته للاصدار منذ عام 1971 ، وما يزال ينتظر اللحظة التي يرى فيها النور . اما اذا تساءل القارئ الكريم عن السبب الذي دعاني الى جمع هذه الموضوعات في كتاب واحد ، فجوابي :

١- ان موضوعات الفصول الثلاثة : الاول و الثاني و الثالث ، يجمعها و يربط بينها كونها ردًا على موضوعات سعيد جواد . وقد اعدت لكي تنشر في مجلة شؤون فلسطينية بناء على موافقة سكرتير التحرير المبدئية ، لذلك قدمت للمجلة المذكورة بديباجة جاء فيها :

(لقد سبق لي ان ناقشت بعض آراء السيد نايف حواتمه التي تضمنها مداخلاته في ندوة قادة المقاومة الفلسطينية ، بيد أنني وجدت بعد أن تسنت لي مطالعة الموضوعات التي طرحها سعيد جواد على صفحات العدد 33 و بعد ان طالعت مناقشة الرفيق حسين ابو النمل له على صفحات العدد 34 ، ان موضوعات الحوار والجدل ما تزال تدعو للمناقشة والرد ، بغية وضع الحقيقة في نصابها . لذلك يتحتم علي قبل اي شيء ان اسجل شكري لهيئة تحرير « شؤون فلسطينية» لاتاحتها الفرصة للمحاكمات العقلية المرتكزة على التحليل الموضوعي لعناصر الواقع وحقائقه وتعيين طبيعة القوى المحركة فيها والمؤثرة ، الظاهرة والكامنة ، الرئيسية والثانوية ، ودور كل منهما في عملية الصراع . وبالضبط القوى الفاعلة التي تشكل منها ادوات الانتقال من مرحلة كفاحية الى مرحلة كفاحية ارقى ، والى مواقع اكثر ثباتًا ، تساعد في امتلاك وسائل نضالية اكثر ثباتًا ، تساعد في امتلاك وسائل نضالية اكثر فاعلية و ملائمة) .[1]

وعندما اعددت هذه الموضوعات وقدمتها لسكرتير تحرير « شؤون فلسطينية » ، اعتذر عن نشرها متنصلا عن وعده السابق ، مما دعى مجلة الهدف البيروتية الى نشرها بمقدمة جاء فيها:

(يناقش الرفيق هاشم علي محسن ، في هذه الدراسة ، الموضوعات التي طرحها سعيد جواد تحت عنوان «حول المقاومة الفلسطينية ومهامها الوطنية الكفاحية الراهنة » في العدد 30 من مجلة شؤون فلسطينية والتي ناقش فيها اراء الرفيق جورج حبش المسجلة في ندوة المقاومة الفلسطينيية المنشورة في عدد سابق من المجلة نفسها .
كان المفروض ، ان تنشر هذه الدراسة في المجلة المذكورة ، باعتبارها ردا على سعيد جواد ، خاصة وانهم وعدوا بنشرها ، على اساس ان حق الرد **مضمون** للجميع ، بيد انهم لم يفعلوا مع الاسف الشديد ، اذ اعادوها معتذرين عن نشرها **بحجة تعارض الاراء الواردة فيها مع قناعات المجلة !**

اننا لا نأسف لاعتذار « شؤون فلسطينية»عن النشر وحرماننا من حقنا الذي كنا نحسب انه **مضمون** ، فحسب ، وانما الذي يدعونا للاسف أيضًا هو ان تسجل الزميلة على نفسها بادرة لم نكن نتوقعها منها ، ولا نظن انها مقبولة من قبل قرائها ايضا ، اذ طالما ان الندوة ، قد عقدت بدعوة من المجلة نفسها ، وانها قد نشرت آراء المشتركين فيها ، وطالما انها فتحت صفحاتها لمناقشة اراء الرفيق الامين العام للجبهةالشعبية لتحرير فلسطين ، فان الواجب الادبي كان يحتم عليها ان تنشر ردنا بغض النظر عن توافق أو تعارض الارآء الواردة فيه مع قناعاتها .

ان ضيق صفحات « شؤون فلسطينية » عن استيعاب وجهة نظرنا وحقنا في الذود عن موقفنا بعد أن سمحت لنفسها

---

[1] المقاومة الفلسطينية ومهامها الوطنية الكفاحية الراهنة - مجلة شؤون فلسطينية عدد 33 ص 39 .

بشتمنا وتشويه مواقفنا وارائنا على صفحاتها ... نقول ان ضيق صفحات « شؤون فلسطينية » عن حفظ حقنا ، لهو أمر يدعو الى التأمل في هذه المرحلة الدقيقة من عمر الثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية خاصة ، التي ينبغي ان تكون « شؤون فلسطينية » ابانها اسما على مسمى لكي تصبح بالفعل منبرًا حرا ، وسجلا للشؤون الفلسطينية برمتها لكي يستطيع أبناء فلسطين أن يجدوا في « شؤونهم الفلسطينية » ما يمكنهم من الحكم على صواب هذا الراي او ذاك.اما وان «شؤون فلسطينية» قد اختارت طريق الانكفاء على نهج معين ونمط معين من « الشؤون الفلسطينية » فان هذا الامر سيفقدها اهم ما تميزت به حتى الان !)

٢ - وفضلا عن كونها ردا على موضوعات سعيد جواد ، فان هناك رابطًا آخر يجمع بين فصول الكتاب الاربعة ، اعني كونها ضد « التسوية السياسية الاستسلامية »، التي حددها قرار مجلس الامن 242 ، والتي طرحها الحرب الرابعة على بساط التنفيذ ، بعد ان فتحت الباب على مصراعيه امامها !

ثانيا - ١- وضمن الملاحظات الشكلية ، تحتم الضرورة ان نجلب انتباه القارىء الكريم الى ان موضوعات هذا الكتاب قد حررت قبل انسحاب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقبل تشكيل جبهة الرفض الفلسطينية . وعند التدقيق سنجد ان التطورات اللاحقة جاءت مؤكدة موضوعات هذا الكتاب ، لدرجة تعتبر برهانا على صواب الاستنتاجات التي توصل اليها البحث ، وصحة الرؤية التي استندت اليها المناقشة ، الامر الذي يكسب كتابنا هذا اهمية خاصة في ظروفنا الراهنة .

٢ - ونقطة شكلية ، تتعلق في الفصل الاخير ، لا بد من ذكرها .

ان هذا الفصل لم يكن في الاصل ردا على سعيد جواد ، وقد ضم الى موضوعات هذا الكتاب ، لتقارب موضوعه مع بقية الموضوعات ، اذ انه ضد التسوية السياسي الاستسلامية ، وضد المستسلمين ، الامر الذي يجعله مكملا لموضوع الكتاب .

ثالثًا – ان ما تقدم ، لا يقلل من قيمة الكتاب و اهميته رغم طابع السرعة التي كتب فيها ، فهو يمثل واحدًا من الكتب التي تناهض الاستسلام و تدعو إلى مقاومة الامبريالية و الصهيونية و الرجعية ، دعوة لا تخشى لومة لائم او ارهاب حاكم . وان رأي البعض فيه تطرفًا . فعذري ان هذه هي الحقيقة كما اراها والتي ستتضح لكل الذين ما يزالون عاجزين عن رؤيتها ، اما أولئك الضالعين مع المؤامرة ، فأمرهم متروك لشعبنا الأبي لكي يقتص منهم اقتصاصًا يستحقونه .

ان هذا الكتيب يعتبر اشمل رد على جواد ، فضلا عن انه يطرح وجهات نظر لم تسبق اثارتها من قبل . وعلى سبيل المثال، فان موضوع تحديد طابع حربي ١٩٤٨ و ١٩٧٣ وكذلك موضوع الشعارات تطرق لاول مرة مما يجعلها تستحق اهتمام المعنيين من ابناء امتنا العربية المجيدة .

انني اعتبر مقالة سعيد جواد واحدة من المقالات المعبرة عن راي وموقف الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، اعتبارا يصبح معه هذا الكتيب جزءا من كتابي الذي سيصدر الجزء الاول منه قريبا . تحت عنوان «الجواب» ، الذي يتناول سياسة الجبهة الديمقراطية وفكرها منذ نشأتها حتى الآن .

رابعا - ان حرب السادس من تشرين لن تكون حربا وطنية لمجرد « اعلان » قيادتها انها ضد اسرائيل فقط بل ان حرب تشرين و أية حرب غيرها ، يفترض فيها لكي تكون وطنية ان تستهدف احقاق حق الامة العربية المضام و تحرير الوطن الفلسطيني المغتصب من قبل الصهيونية و الامبريالية . فهل استهدفت الحرب الرابعة تحرير الارض الفلسطينية المغتصبة ؟

انني لا اقول هل حررت حرب السادس من تشرين الارض المحتلة والمغتصبة ، رغم ان الامكانية كانت متوفرة ، اذ لا يغير من طبيعة حرب نشنها ضد اسرائيل أن تعجز عن تحقيق هدفها في الجولة الاولى، فطالما هي حرب مستمرة، فان فشل جولة كفيل
بأن يقربنا من النصر خطوة ، لذا فانني اتساءل هل استهدفت حرب السادس من تشرين تحرير الارض ؟

انني مقتنع بأن هدف الذين خططوا للحرب الرابعة ، لم يكن تحرير الارض بالاستناد الى قوة ارادة المقاتل العربي واستعداده للتضحية ، و انما كان هدفهم خلق اجواء سياسية ملائمة تتيح للولايات المتحدة الامريكية ان تلعب دو رها الذي تلعبه حاليا ، في تحقيق التسوية السياسية الاستسلامية ، لعبا تستطيع معه اميركا ان تصفي ما تبقى من حساب مع حركة التحرر الوطني العربية ، تصفية تلاحق القوى الثورية التي تمثل جيوبا خطيرة تهدد وجود الامبريالية ونفوذها من جهة ، وان تعيد ترتيب

اوضاع المنطقة العربية ، اعادة تؤكد سيطرة عملائها وحلفائها القدامى والجدد على بلداننا العربية ، من جهة ثانية ، وان تفرض نفوذها ، وتجعل هيمنتها شاملة على المنطقة باسرها ،
لكي تضمن تدفق النفط ، لها ولشركائها في بلدان المعسكر الرأسمالي ، و تؤمن استمرار نهبها لثرواتنا الاخرى من جهة ثالثة .

ادرسوا ايجابيات الحرب الرابعة ، التي هي بينات ادانة لقيادة هذه الحرب ، وامعنوا النظر و الفكر في الوضع العالمي ، وحاولوا ان تدركوا عمق الازمة التي تعانيها الامبريالية ، و مدوا رؤيتكم الى ابعد من الفترة الراهنة ، وحاولوا ان تروا نتائج مدة الازمة ، على سائر بلدان المعسكر الرأسمالي و من ضمنها اسرائيل ، الا تتفقوا معي ان فترة زمنية مناسبة اخرى نقضيها في حاله حرب مع اسرائيل كفيلة بتحرير فلسطين من براثن الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ؟

منذ ان تم اغتصاب فلسطين حتى الان ، تحققت أشياء كثيرة : تحررت مصر من نير الملكية العميلة وقامت فيها ثورة وطنية ديمقراطية و الامر نفسه تحقق للعراق و ليبيا وسوريا و الجزائر و اليمن الديمقراطية الشعبية و كان المفروض ان تنعكس هذه التغييرات على الموقف من القضية الفلسطينية و حالة الصراع بين حركة التحرر الوطني العربية و بين الحركة الصهيونية ، انعكاسا ايجابيا فلماذا يحدث العكس ، وتصبح مسألة انهاء حالة الحرب مع اسرائيل و الاعتراف بها ، هي المسألة المطروحة ،بديلاً لاستمرار حالة الحرب ؟

إن الجواب على هذا السؤال ، يتضح لنا ، اذا ما حاولنا أن نقارن بين طبيعة القيادة التي حققت النصر على الامبريالية في فيتنام وكمبوديا ، وبين طبيعة القيادة العربية .

هناك قيادة ليست لها مصلحة في تحقيق النصر بالمضمون والاسلوب الذي تحقق به ، فحسب ، بل ان مصلحتها لن تتحقق بغير اتباعها لاسلوب **حرب التحرير الشعبية** الطويلة الامد ، التي يلعب فيها الجيش النظامي والعصابات ادوارا تجعل كلا منهما متمما للآخر ، بينما حربنا نحن مع اسرائيل تحدد مضمونها مصلحة حلفاء امريكا ، وهي مصلحة تقتضي لكي تتحقق ضمان مصلحة الحليف الذي هو امريكا ، فكيف يمكن لمن ترتبط مصالحهم مع مصلحة اميركا ان يحققوا نصرًا كالنصر الذي تحقق في الفيتنام وكمبوديا ؟

ان الحديث عن حرب وطنية ضد اسرائيل ، من موقع التحالف مع اميركا ان لم يكن حديث تضليل و خداع ، فهو على اقل تقدير حديث ساذج لاناس لا يفقهون في السياسة ولا يعرفون المقياس العلمي لتحديد طابع الحرب .

خامسا - لاشك في ان كل حرب لها جانبان ، و الحرب بيننا و بين اسرائيل ، تعتبر حربا امبريالية من الجانب الاسرائيلي ، ولكنها حرب وطنية من جانبنا ، شريطة ان تكون حربا ضد اسرائيل وليست حرب مصالحة مع اسرائيل واعتراف بها . ففي هذه الحالة تعتبر الحرب تضليلية استسلامية ولكن هذا الاعتبار لا يمنع القوى الثورية من المشاركة في الحرب لاسباب عديدة اهمها:

١ - ان القوى الثورية تشارك في الحرب انطلاقا من وجهة نظرها الرافضة للاعتراف باسرائيل والداعية لاستمرار الحرب . ومن هذا المنطلق فان القوى الثورية ، تشارك في الحرب على امل تطويرها الى حرب تحرير وطنية ثم شعبية تستهدفْ تحرير الارض المحتلة والمغتصبة ، مشاركة تحاول ان تدفع بالحرب لتصبح ملتقى ارادة الجماهير الشعبية الثورية من المحيط الى الخليج ، وتمسي معولا تحمله جيوشنا النظامية ومقاومتنا الشعبية الفلسطينية والعربية ، لهدم الكيان الصهيوني ، و جعل راية التحرير و الديمقراطية والاشتراكية والوحدة ،ترفرف عاليا فوق فلسطيننا المحررة .

2 – اما اذا عجزت القوى الثورية عن جعل الحرب وطنية هادفة انزال الهزيمة باسرائيل ، نتيجة هيمنة القوى الاستسلامية التي تحارب وهي رافعة « الراية البيضاء » فساعتها تتخذ موقفا رافضا لايقاف الحرب وداعيا لاستمرار القتال ، اتخاذا بقدر ما يستمر بالتحريض على الحرب ، فانه و بالقدر ذاته يكشف بجرأة و يدين الخيانة التي تتستر وراء ضجيج الحرب واجوائها .

3 – ان مشاركة القوى الثورية في الحرب التي تعلنها القيادات البرجوازية بقصد تمرير الحلول الاستسلامية ، كما ان رفع راية الدعوة ، من قبل القوى الثورية لاستمرار الحرب و أدانه التآمر الذي يتستر بالحرب ...ان هذه المواقف مفروضة

على القوى الثورية الفلسطينية والعربية ، بحكم كون هذه القوى ، تقف موقفا مبدئيا ثابتا من حق الشعب الفلسطيني ، في تقرير مصيره على ارض وطنه وفق الاسلوب القادر على ترجمة ارادته وتأكيد حقه في تحرير وطنه المغتصب من جهة ، وبحكم موقف هذه القوى ، الثوري والحاسم من الاغتصاب الصهيوني وحملها راية الدعوة لاستمرار الحرب وممارستها للقتال ضد

اسرائيل من جهة ثانية وبحكم ايمانها بان الانتصار على الصهيونية والامبريالية ، لن يتحقق بجولة او جولتين وفق اسلوب الحرب النظامية الخاطفة ، فقط وانما هو يتطلب اتباع اسلوب مناسب للأوضاع العربية ، يعتمد الحرب الشعبية الطويلة الامد ، التي ترهق العدو و تستنزف امكانياته و طاقاته ، كما حصل لزعيمة الامبريالية الاميركية من جراء حربها في الهند الصينية ، فاذا اخذنا ضخامة امكانياتنا العربية ، والدور الضاغط الذي تلعبه القضية الفلسطينية لاجبار جميع الانظمة العربية على تقديم الدعم للحرب ، بسبب الخوف من ردود الفعل الشعبية الداعية للقتال ضد اسرائيل ... اذا ما اخذنا الفارق الكبير بين ضخامة امكانياتنا العربية على استمرار القتال ، وضآلة الامكانيات الاسرائيلية على مواجهة حرب شعبية طويلة مدعومة بجولات نظامية ، فإن النصر سيتحقق لنا من دون شك ، من جهة ثالثة .

لهذه الاسباب كلها فان القوى الثورية ليس مفروضًا عليها ان تشارك في اية حرب ضد اسرائيل ، فحسب ، و انما ينبغي عليها ان تكون في حالة حرب قائمة ودائمة ضد اسرائيل. لذلك فإنها تشارك في الحرب ، و ان كانت تضليلية ، اذ ان المشاركة لا تضيرها ، بل انها تدعم موقفها و تتيح لها فرص تطوير الحرب وانتزاع زمام القيادة من يد القيادات البورجوازية العاجزة ، وفي اسوأ الحالات تساعد ها على شن هجوم ضد القيادات المتآمرة وفضحها . ربما يقال ، ان الحرب التضليلية تقود الى نتائج وخيمة ، اذ تدعم موقف القوى المستسلمة المتآمرة ، تدعيما يتيح لهذه القوى المستسلمة ان تستثمر نتائج الحرب سواء كانت ايجابية ام سلبية لصالحها ، كما حصل بالنسبة للحرب الرابعة .

أن هذا الاعتراض غير وارد لسبب هام ، هو ان القوى الثورية هي اساسا في حالة حرب دائمة مع اسرائيل و قتال مستمر ضدها سواء حاربت القيادات المتآمرة أم لم تحارب !

ان الحديث عن الحرب عامة والحرب الرابعة على وجه الخصوص سيكون موضوع الفصل الاول ، لذلك سنتوقف عند هذا الحد ، لكي نتابع البحث فيما بعد . اما الان ، فمن المهم ان نقف امام الاسئلة التالية :
لماذا شنت الحكومات الرجعية حربا عام 1948 ، وخرجت مهزومة امام العصابات الصهيونية ؟
ولماذا شنت الحكومات البرجوازية حربا عام 1973 ، و لم تحقق نصرًا رغم توفر امكانية الانتصار ؟
ولماذا شنت اسرائيل حربين وخرجت منتصرة ؟
أن مهمة هذا الكتيب ان يجيب على هذه الاسئلة ، اجابة تنطلق من وجهة نظر لينين القائلة:

(ان طابع الحرب ،وان نجاحها يتوقفان اكثر ما يتوقفان على النظام الداخلي في البلاد التي تخوض الحرب ، وان الحرب هي انعكاس للسياسة الداخلية التي كانت البلاد المعنية تسير عليها قبل الحرب . ان كل ذلك ينعكس لامفر ، على سير الحرب . ان مسألة معرفة الطبقة التي تشن الحرب و التي تواصلها هي مسألة في منتهى الاهمية) لان (الحرب هي امتحان لجميع قوى الامة الاقتصادية و التنظيمية) [2]

بغداد / 5/ حزيران / 1975 .

هـ.ع.م

---

[2] لينين : تقرير في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية للشعوب الشرق - م 3
ج ١ ص 400 ، 402 على التوالي .

الفصل الاول

السادات يعترف بحقيقة الحرب الرابعة
والجمصي يؤكد على انها لم تستهدف التحرير

* طابع الحرب وموقف الاشتراكيين .

١- تمهيد

٢ - طابع الحرب .

٣ - لاي غرض حاربت الحكومات العربية عام 1948 ؟

٤ - حرب تشرين : قيادتها وطابعها .

أ - قيادة حرب تشرين

ب- طابع حرب تشرين

٥- نظرتان متباينتان الى معطيات حرب تشرين الايجابية.

يهمني بادىء ذي بدء ، ان اسجل قناعتي ب (أنه لحق مقدس لكل امرىء ان يبدأ بحث المسألة كما يريد . الا انه ينبغي فقط التمييز بين الطريقة الجدية والشريفة والطريقة غير الشريفة[3] .

[3] لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي _ م 3 ج 1 ص 88 (3-4-5-6) جواد – المصدر السابق ص 39-40 .

طابع الحرب وموقف الاشتراكيين

1- تمهيد :

يعتمد السيد جواد شأنه شأن كل الداعين للقبول بالتسوية السياسية الاستسلامية مع اسرائيل على معطيات حرب تشرين و يبذل جهدا مضنيا من اجل (توظيف العناصر الايجابية في الصراع التي خلقتها حرب تشرين) (3) لتدعيم وجهة نظره . فهو يرى أن (الرابط بين
التشخيصات المختلفة للظواهر المتعددة التي اعطتها الحرب او فتحت احتمالاتها وتناولها الحوار 4) () لن يتحقق ما لم يتم (فحص وتحليل تلك الظواهر واستكشاف الارضية التي تنتمي اليها) (5) .

ومن هذا المنطلق يبدأ السيد جواد مناقشة اراء الرفيق جورج حبش التي تضمنتها مداخلاته في ندوة قادة المقاومة ب (تحليل وتقييم معطيات وحقائق حرب تشرين) (6) لذا يتحتم علينا ان نبدأ بالوقوف امام تحليله وتقييمه لمعطيات وحقائق الحرب .

ان الامر الذي لا يتجادل حوله اثنان هو ان معطيات حرب تشرين بالضرورة تنقسم الى قسمين : ايجابية و سلبية وأن تحديد الايجابي و السلبي فيها يختلف باختلاف النظرة الى طابع الحرب و فهم مضمونها . وعلى هذا الاساس فان حوارنا مع السيد جواد ، يفرض علينا بادىء ذي بدء تحديد فهمنا لطابع حرب تشرين ، لكي نحدد في ضوئه معطياتها الايجابية والسلبية، وقبل ان يحتج السيد جواد
على اتباعي هذه الطريقة في تحديد معطيات الحرب ، اجدني ملزما بان اقول مجددا نعم في ضوء تحديد طابع الحرب يمكننا تحديد
طبيعة معطياتها وعلى سبيل المثال ، فان الذين يحبذون التسوية السياسية يرون ان اهم معطيات حرب تشرين الايجابية ، تتجسد
في كون الحرب قد كسرت الجمود وبددت حالة اللا حرب واللاسلم التي كانت سائدة وفتحت المجال واسعا امام تحقيق التسوية السياسة الاستسلامية . بينما القوى التي تنظر الى التسوية السياسية الاستسلامية على انها مؤامرة تستهدف اجهاض الثورة الفلسطينية وتصفية
قضية الوطن الفلسطيني برمتها ... ان القوى المعارضة للتسوية السياسية الاستسلامية ترى ان اهم معطيات حرب تشرين السلبية تتجسد في هذه النقطة بالذات .

ان تحديد طابع حرب تشرين يتطلب توفر مقياس علمي لكي لا تكون عملية التحديد اعتباطية والمقياس العلمي برأينا هو الذي تحدده الماركسية اللينينية . لذلك فانه يتوجب علينا ان نستطلع رأي لينين في مسألة تحديد طابع الحرب قبل ان نجتهد في تحديد طابع حرب تشرين التي ارادوها ان تكون جسرا ، يعبر عليه الاستسلام والخضوع لمشيئة العدو الامبريالي – الصهيوني ، تماما مثلما كان عبور القوات الاسرائيلية للقناة في وضح النهار وعلى مرأى من الجميع ، جسرا لعبور خيمة الكيلو متر 101 !!

2- طابع الحرب :

يؤكد لينين على ان موقف الماركسيين (من الحرب يختلف مبدئيا عن موقف المسالمين البرجوازيين- - انصار السلام ودعاته-- الحتمية التي تربط بين الحروب والنضال الطبقي في داخل البلاد) [4]

(نحن الماركسيين نمتاز عن المسالمين و الفوضويين بمعنى اننا نقر بضرورة دراسة كل حرب على حدة دراسة تاريخية - من وجهة نظر مادية ماركس الديالكتيكية .

فقد عرف التاريخ جملة من الحروب كانت تقدمية رغم الفظائع والاهوال والكوارث والعذابات التي تنطوي عليها حتما كل حرب ، ايا كانت ، بمعنى انها كانت مفيدة لتطور الانسانية وساعدت في تحطيم اشد المؤسسات ضررا ورجعية - مثلا

---

[4] لينين – حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية – ص 148 . مقال عن الاشتراكية و الحرب .

الاوتوقراطية او القنانة - واشد الانظمة المستبدة اغراقا في البربرية في اوروبا - النظام التركي والروسي) [5].

من هذا الكلام يتضح ان لينين يدرس الحرب ويحدد طابعها ان كان تقدميا أو غير تقدمي وطنيا أو غير وطني ، من خلال محتوى الحرب و الاهداف التي ترمي الى تحقيقها و الطبقة التي تقودها ، لذلك فانه يعتبر االحروب تقدمية ، رغم الاهوال والفظائع والكوارث الناجمة عنها ، اذا كان هدفها خدمة الجماهير ودفع حركة التطور الى الامام بتحطيمها انظمة رجعية كالاتوقراطية و القنانة او الانظمة المستبدة التي تسبب اكبر الضرر للجماهير و لحركتها التقدمية .

(ان طابع الحرب « الرجعي او الثوري » لا يتوقف على معرفة من ذا الذي هاجم واية بلاد هي مقر « العدو » . بل على مايلي : اية طبقة تشن هذه الحرب ، ما هي السياسة التي تكون الحرب امتداد لها)[6]

من هذا المنطلق والمقياس يعتبر لينين ان مرحلة ١٧٨٩ – ١٨٧١ ، اي المرحلة الممتدة منذ قيام الثورة الفرنسية الكبرى حتى كومونة باريس قد حدثت ابانها حروب تقدمية من نماذجها (الحروب التي اتسمت بطابع تقدمي برجوازي ، بطابع تحرري وطني . وبتعبير اخر ، كان محتوى هذه الحروب الرئيسي واهميتها التاريخية يقومان في دك الحكم المطلق والاقطاعية، وتقويضهما ، وخلع النير الاجنبي ، فكانت بالتالي حروبا تقدمية.
ولهذا فان جميع الديمقراطيين الشرفاء الثوريين ، وكذلك جميع الاشتراكيين ،قد نظروا دائما نظرة عطف ، خلال هذا النوع من الحروب ، الى نجاح البلد- اي الى نجاح البرجوازية – الذي أسهم في دك او تقويض اخطر اسس الاقطاعية والحكم المطلق ، و الاضطهاد النازل بالشعوب الاجنبية) [7]

(ان الاشتراكيين ، اذا تحدثوا عن شرعية الحرب « الدفاعية » بالنسبة لحروب مثل هذه المرحلة ، انما قصدوا دائما على وجه الضبط هذه الاهداف التي ترمي الى ثورة ضد نظام القرون الوسطى وضد القنانة . وبهذا المعنى فهم الاشتراكيون دائما الحرب « الدفاعية » حربا « عادلة » و بهذا المعنى فقط كان الاشتراكيون يقرون و لا يزالون يقرون الان بما يتسم به « الدفاع
عن الوطن » أو الحرب « الحرب الدفاعية » من طابع شرعي ، تقدمي ، عادل مثلا ، اذا اعلنت مراكش غدا الحرب على فرنسا ، والهند على أنكلترا وايران او الصين على روسيا ، الخ فان هذه الحروب ستكون حروبا « عادلة » ، « دفاعية » ، ايا كان البادىء ، وكل اشتراكي سيتمنى انتصار الدول المضطهدة ، التابعة ، التي لا تتمتع بكامل حقوقها ، على الدول « الكبري » المضطهدة ، المستبعدة النهابة) [8]

لاحظ ان (كل اشتراكي سيتمنى انتصار الدول المضطَهدة ... الخ) ضد الدول التي تضطهدها ، وايا كان البادىء فان حربا يشنها المظلوم على الظالم ، يشنها المضطهد على الذي يضطهده ، هي حرب دفاعية عادلة ، تتسم بطابع شرعي تقدمي عادل ، كالحرب التي تشنها مراكش الخاضعة للاستعمار ضد فرنسا المستعمرة .

ومن هذا المنطلق المبدئي ومثلما كانت الحروب التي دارت في مرحلة 1789 - 1871 حروبا قومية وطنية تقدمية عادلة ، تعبر عن الحركات القومية الجماهيرية ... عن النضال فى سبيل الغاء الاضطهاد القومي ...من هذا المنطلق ، فان اية حرب يشنها العرب ضد اسرائيل سواء كانت حربا شاملة او جزئية فهي حرب دفاعية ، شرعية ، عادلة ، تتسم بطابع تقدمي عادل ، لان اسرائيل مستعمرة غازية معتدية ظالمة ، على ان يكون هدف الحرب التي نشنها ضد اسرائيل هو تحرير الانسان والارض المغتصبة والمحتلة معا ، أو المحتلة فقط ، لاعتبارات سياسية و عسكرية معينة ، شريطة عدم التنازل عن الارض المغتصبة مقابل انسحاب اسرائيل عن الارض المحتلة وبالتالي عدم انهاء حالة الحرب معها . والا فان اية حرب تشن بهدف انهاء حالة الحرب مع اسرائيل والاعتراف بها ، فانها حرب تضليلية استسلامية، يراد منها اللعب على مشاعر الجماهير وتمويه مضمون الحرب و هدفها، بغية اظهاره بمظهر يخفف من عنف ردود الفعل لدى الجماهير التي كان موقفها الرافض للاغتصاب

---

[5]. لينين المرجع السابق ص 1948 ، 149

[6]. لينين – الثورة البروليتارية و المرتد كاوتسكي – المجد 3 الجزء 1 ص 151 – 152

[7] لينين – المرجع السابق ص 149 ، 150

[8] لينين – المرجع السابق – ص 149 – 150

الصهيوني ، عائقا حال دون اقتراف جريمة الاعتراف باسرائيل والتنازل عن الوطن الفلسطيني للحركة الصهيونية طيلة ربع القرن الاخير .

ان قضيتنا قضية وطنية تقدمية عادلة ، وتبعا لذلك فان حربنا ضد اسرائيل هي حرب وطنية ذات طابع تقدمي و ان انهاء هذه الحرب هو تصفية لقضية وطنية تقدمية عادلة . لذلك فان الحرب التي تشن بغرض تصفية القضية الفلسطينية عن طريق الاعتراف بالاغتصاب هي حرب تضليل و خداع ترفضها جماهيرنا العربية وتدين مدبريها !
ومن هذا المنطلق ايضا ، سنحدد طابع الحرب الرابعة بيننا و بين اسرائيل و لكن قبل ذلك ، علينا ان نعود الى حرب عام 1948 ، الى عام قيام دولة الاغتصاب الصهيوني ، لنعرف الغرض الذي من اجله شن الحكام الرجعيون الحرب ، و المسألة التي بقيت مؤجلة طيلة ربع القرن الاخير ، والتي يتجرأ حكام اليوم على حسمها لمصلحة الحركة الصهيونية .

3 – لاي غرض حاربت الحكومات الرجعية عام 1948 ؟

ان الحكومات العربية الرجعية العميلة التي حاربت عام 1948 ، قد تنازلت عمليا عن فلسطين حين تواطأت مع المستعمرين على السماح بقيام الكيان الصهيوني رغم انها أبقت حالة الحرب قائمة مع اسرائيل . لذلك فان حرب 1948 ، رغم انها تنتسب الى شرعية و عدالة مناهضة قيام اسرائيل ، هي حرب هدفها تضليل و بالتالي فان محتواها غير تقدمي و غير وطني ، انها حرب شنها الحكام الرجعيون العملاء باسم الجماهير العربية و مشاعرها القومية و الوطنية المشروعة والعادلة ، ليس من اجل التعبير بصدق عن هذه المشاعر المشروعة و العادلة ، و انما من اجل تضليل الجماهير واجهاض حركتها الثورية المناهضة للاغتصاب الصهيوني !

وربما يقال هنا ، بان الحكام الذين نصفهم بالرجعية والعمالة ونصفهم بالخيانة وتضليل الجماهير .. ان اولئك الحكام حاولوا ان يقاتلوا ليحولوا دون اغتصاب فلسطين وليمنعوا قيام اسرائيل ، بيد انهم لم يفلحوا لعدم كفاية استعداد جيوشهم ، او كما يقول منظر الحركة القومية ساطع الحصري انهم انهزموا لانهم كانوا سبعة جيوش ، اي لو لم يكونوا متفرقين غير موحدين لكان بامكانهم الانتصار على العصابات الصهيونية ... ربما يقال انهم قاتلوا و لكنهم انهزموا ، و هزيمة المقاتلين امام الاستعمار ليست بينة ادانة ، ولا هي دليل خيانة، خاصة وان الحكام الذين قاتلوا الحركة الصهيونية في معركة 1948 ، لم يعترفوا باسرائيل و لم ينهوا حالة الحرب معها ، رغم هزيمتهم في الحرب ، كما يفعل حكام بلدان المواجهة اليوم ، ولو لم يكونوا جادين في القتال لاعترفوا بالوجود الاسرائيلي بعد قيام كيانه !

ربما يقال مثل هذا القول ، بيد انه قول لا يفند اتهامنا لاؤلئك الحكام الرجعيين العملاء و لا يبريء ساحتهم ، لان حجة هذا القول تحمل تفنيدها معها ، ذلك ان ما كانت تريده الحركة الصهيونية و بالتالي الامبريالية قد تحقق بكامله ولو لم تكن الحكومات العربية القائمة انذاك حكومات رجعية عميلة لكان اغتصاب فلسطين مستحيلا !

ان اهتمام الحركة الصهيونية و معها الامبريالية كان منصبًا عام 1948 على ازالة العقبات و العوائق التي تحول دون قيام الكيان الصهيوني اولا وتمكين هذا الكيان من ان يحوز على الاعتراف الدولي به ثانيا ، اما اعتراف الحكومات العربية باسرائيل فمسألة لم تكن واردة انذاك بحسابات الصهيونية و الامبريالية لسبب رئيسي هو ان قيام اسرائيل لن يتحقق الا بتشريد الشعب العربي الفلسطيني من ارضه ، لكي يحل الاسرائيليون محله و يستوطنوا وطنه الفلسطيني بقوة الحديد و النار . وليس معقولا ان يطلب من الحكام العرب الاعتراف
بالوجود الاسرائيلي والتنازل عن فلسطين في مثل تلك الظروف التي قامت اسرائيل ابانها على اشلاء الشهداء من المناضلين الفلسطينيين المناهضين للانتداب البريطاني و للحركة الصهيونية . الامر الذي دفع حكومات الجامعة العربية لان تتظاهر بعدم الموافقة على قيام اسرائيل .

من هنا كان اهتمام الامبرياليين وضغطهم منصبا على ضرورة قيام الكيان الصهيوني ، على ان تؤجل مسألة الاعتراف بهذا الوجود الى وقت اخر . ومن له معرفة بمجريات سياسة تلك المرحلة واتجاهاتها يتذكر كيف ان سياسة تلك الحكومات كانت تتعمد اهمال القضية الفلسطينية و انهائها تمهيدًا للاعتراف بالوجود الاسرائيلي ، ولعل مشاريع اسكان الفلسطينيين وانهاء حالة لجوئهم احدى البينات على صحة ما تقول !

ومع كل ما تقدم يبقى سؤال متعلق بقضية الحرب ، فحواه: اذا كان اولئك الحكام رجعيين و عملاء، ومتواطئين مع الامبريالية التي ارادت قيام اسرائيل في قلب الوطن العربي لتكون قاعدة لها وركيزة تستند اليها في مواجهة حركة التحرر الوطني العربية ، فلماذا حاربوا و سيروا جيوشهم السبعة اذن ؟

ان الجواب على هذا السؤال واضح ومن السهل ادراكه خاصة ونحن في ظروف حرب 6 تشرين ، هذه الحرب التي لم تحظ حرب قبلها بمثل التأييد الذي حظيت به ومع ذلك رأينا كيف انها انتهت الى المفاوضات المباشرة في خيمة (الكيلو 101) و (مؤتمر السلام في جنيف) و (اتفاق فك الارتباط بين القوات) تمهيدا للاعتراف باسرائيل و انهاء حالة الحرب معها .

و خلاصة الجواب ، هي ان الحكام الرجعيين العملاء و سادتهم الامبرياليين ، كانوا يدركون جيدًا ان اغتصاب فلسطين وبالتالي قيام اسرائيل من شأنه ان يثير ردود فعل قومية عنيفة لدى الجماهير العربية . وامام ردود الفعل تلك ، ليس بوسع اولئك الحكام السكوت على قيام اسرائيل و الاعتراف بها ، و ليس بمقدورهم مواجهة المشاعر القومية العادلة المتاججة التي استفزها العدوان الصهيوني و اثار نقمتها ، استفزازا و اثارة كانت موجتهما عنيفة و عارمة لدرجة تطلبت ان يتبع اولئك الحكام خطة تضليلية يركبون بموجبها تلك الموجة ليس من اجل منع قيام اسرائيل و انما من اجل امتصاص المشاعر القومية العادلة ، واجهاض اية أمكانية لتحويل تلك المشاعر الى حرب تحرير شعبية ضد الاستعمار البريطاني و العصابات الصهيونية ، لكي يحققوا غرضين و يصيبوا عصفورين بحجر واحد : قيام اسرائيل ، واحلال الحرب الرسمية محل حرب التحرير الشعبية . و لذلك تطلبت الخطة المرسومة لتمرير المؤامرة ان تعلن الحركة الصهيونية عن قيام اسرائيل وتشريد الشعب الفلسطيني وان يرد الحكام العرب الرجعيون العملاء على ذلك بإعلان الحرب وان يحشدوا جيوشهم السبعة هدفه الظهور أمام الجماهير العربية بمظهر الرفض لهذا الوجود ، لكي يتمكنوا ، تحت ظل هذا المظهر الزائف ، من اعلان الاحكام العرفية بذريعة حماية مؤخرة الجيوش المحاربة و بقصد ضرب اي تحرك جماهيري يفقدهم زمام السيطرة على الموقف لذلك كانت حرب 1948 ، حربا تضليلية تمويهية كان غرضها ستر تواطؤ الحكومات العربية وخيانتها وانصياعها لمشيئة الامبريالية القاضية بضرورة قيام اسرائيل !

وبايجاز ، فان حرب عام 1948 ، لم تكن حربا ضد الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، و الانتداب البريطاني ، و انما تظاهرت بالانتساب لمناهضة الحركة الصهيونية ، ولم تحارب الحكومات الرجعية العميلة جديا من اجل منع قيام اسرائيل وانما تظاهرت بالحرب بغية ذر رماد التضليل بعيون الجماهير ، و منعها من خوض حربها الشعبية بحجة الحرب الرسمية ، اي ان تلك الحكومات قد حركت جيوشها النظامية من اجل اجهاض امكانية مواجهة قيام اسرائيل بحرب تحرير شعبية طويلة الامد ، واستبدالها بحربها الرسمية النظامية التضليلية . وقصة (ماكو اوامر العراقية) و كذلك قصة (الاسلحة الفاسدة المصرية) معروفة ، و ليس معقولا ان يتظاهر الحكام العملاء بالحرب ضد قيام اسرائيل وفي الوقت نفسه يعترفون بوجودها بعد قيامها ، لذلك فان ما كانت تريده الامبريالية انذاك هو السماح للكيان الصهيوني برؤية النور و الوجود على الارض العربية في فلسطين .
اما قضية الاعتراف باسرائيل فمسألة لم تكن مطلوبة حينذاك لانها غير ممكنة ! و بتعبير ادق ان مسألة الاعتراف باسرائيل اعتبرت مؤجلة الى وقت آخر ، اذ اعطيت الاولوية لمسألة (الوجود) وهذا شيء طبيعي .

ان ادراك الجماهير لهذه الحقيقة ، هو الذي جعلها تقف ضد الحكام العملاء الذين شنوا الحرب 1948 وقادوها ، وقفة جعلت من تلك الحرب فاصلا بين مرحلتين ، وسببا من الاسباب الهامة التي دعت الى اسقاط اولئك الحكام والانظمة التي يمثلونها ، و لعل في التذكير بهذا الامر دليلا كافيا للتأكيد على صحة ما نقول .

مما تقدم يتضح ان مسألة الاعتراف بالوجود الصهيوني في فلسطين بقيت مؤجلة لتعذر تحقيقها في حينه . بيد أن هذا الهدف الذي لم يكن بالامكان تحقيقه عام 1948 ، جعل الحركة الصهيونية التي اصبحت ممثلة بدولة اسرائيل و معها الامبريالية العالمية تكرس جهودها في سبيل جعل الوجود الصهيوني امرا واقعا معترفا به من قبل الحكومات العربية لكي تتمكن اسرائيل ليس من تكريس وجودها نهائيا بالقضاء حقوقيا على المنازع الفلسطيني لها ، فحسب ، بل ومن اجل أن تلعب دورها الاقتصادي والسياسي والعسكري و التكنيكي في المنطقة ، لكي تكون جسرا حقيقيا يعبر بواسطته الاستعمار بمختلف اشكاله في المنطقة باسرها و مرتكزا ماديا له . من هنا يتضح ان الحركة الصهيونية ومعها الامبريالية بعد ان نجحتا في اقامة اسرائيل على اشلاء الشعب الفلسطيني ، انصرف اهتمامها الى تكريس وجود كيانها . وبذلك فقد اصبحت مسألة الاعتراف باسرائيل هي الهدف الاني المطروح بالحاح على جدول الاعمال و الذي يشغل بال الصهيونية و بالتالي الامبريالية و يستحوذ على اهتمامهما .

مما تقدم يتضح بجلاء تام ، ان اية سياسة تتهادن مع الامبريالية او تعتمد عليها لمجابهة العدوان الاسرائيلي لا بد ان تنتهي الى الاعتراف باسرائيل حتما ، وهي على كل حال سياسة لا يمكن ان تكون وطنية بله تقدمية !

4- حرب تشرين .. قيادتها .. وطابعها :

أ- قيادة حرب تشرين :
يقول لينين :

(لا مندحة من ان نختار : انؤيد الاشتراكية ام نؤيد الخضوع لقوانين السادة جوفر وهندنبورغ ، انؤيد النضال الثوري ، ام نؤيد الاستحذاء امام الامبريالية لا وجود للوسط في هذ الامر . فالمنافقون (او الحمقى) ملفقو سياسة «الاتجاه الوسط» يسببون للبروليتاريا اكبر الضرر) [9]

ليس بمستطاع احد ان ينكر او يتجاهل كون حركة التحرر الوطني العربية ومنها المقاومة الفلسطينية يتجاذبها الان اتجاهان ومع ان الصراع ما يزال في بدايات مراحله او انه لم يحتدم بعد تربطهما ضمن اطار وحدة العمل الوطني ، مع ذلك فانه اصبح الان منعكسا على مختلف مجالات النشاط، ويتجلى بشكل خاص، في ميادين الفكر والسياسة ، اذ اصبح معروفا ان لكل من الاتجاهين شعاراته ومفاهيمه وتصوراته لكل قضية من القضايا التي لها علاقة بالثورة الفلسطينية خاصة . ومع ان القضية الفلسطينية هي محور الجدل وبالتالي الساحة الفلسطينية . بيد

ان عملية الصراع هذه قد شملت مختلف فصائل حركة التحرر الوطني العربية على امتداد ساحات وطننا العربي الكبير . ولعل قضية تقييم حرب السادس من تشرين 1973 وتحديد مضمونها وبالتالي طابعها ، هي احدى هذه القضايا التي تختلف حولها الرؤى .

لقد قيل الكثير عن هذه الحرب ، واكن ما يهمنا الوقوف عنده من المسائل المتعلقة بالحرب هي مسألة مضمونها الذي يحدد طابعها ، تحديدا تتضح من خلاله أن كانت هذه الحرب ، من اجل التحرير ام انها حرب من اجل التسوية الاستسلامية وتكريس سلطة اليمين الرجعي في البلدان التي شنت الحرب من اجل تحريك التسوية السياسية والخوض في المفاوضات المباشرة مع العدو الصهيوني والاعتراف باسرائيل والتنازل عن فلسطين المغتصبة للحركة الصهيونية .

فاذا كانت طبيعة الطبقة التي تشن الحرب والسياسة التي تمثل الحرب امتدادا لها ، اي مضمون الحرب ، هما اللذان يحددان طابع الحرب ، فان طبيعة الطبقة التي قادت حرب تشرين والاهداف التي توخت قيادة الحرب تحقيقها ، تتضحان ، اذا ما اجبنا على السؤال التالي :

من هي القوى التي قادت الحرب وما هي الاهداف التي شنت الحرب من اجل تحقيقها ؟

لعلنا نستطيع الان ، ان نقول بانه مثلما كانت الامبريالية تطلب عام 1948 ، من عملائها ان يتعاونوا معها على قيام اسرائيل فانها اليوم تطلب من الذين يسعون للتحالف معها ويدعونها لان تضغط على اسرائيل لكي تنسحب من الاراضي التي احتلتها في العام 1967 ، ان يعترفوا باسرائيل ويتنازلوا عن الوطن الفلسطيني للحركة الصهيونية !

واذا ما استطردنا في المقارنة ، فسنجد أن الذين يجدون مصلحتهم في التحالف مع الامبريالية الاميركية من حكام اليوم ، مطالبون بان يعترفوا بالكيان الصهيوني ، ولكي يتمكن حلفاء الامبريالية الجدد من الركوع امام مشيئتها وينفذوا رغبتها فانهم كانوا بحاجة الى شن حرب يتخذون منها ستارا تضليليا لامرار التسوية – المؤامرة ، مثلما فعل الذين سبقوهم عام 1948 ، حين جعلوا من الحرب ستارا لاخفاء حقيقة خيانتهم للقضية و تمكين الحركة الصهيونية من ايجاد (اسرائيل) على أرض الوطن الوطن الفلسطيني .

يشير الرفيق شاكر الى التنازلات التي اخذ اهل النظام المصري يقدمونها بغية ارضاء الرجعية والامبريالية ... يشير الى ذلك فيقول :

---

[9] لينين : حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية - مقال : مسالة السلام ص 147 .

© جوفر جورف (1852 -1931) مارشال فرنسي ، القائد العام للجيش الفرنسي اثناء الحرب الامبريالية العالمية لسنوات (1914 – 1918) .
© هدنبورغ باول فون (1847 – 1934) جنرال الماني ، ملكي ،القائد العام للجيوش الالمانية في سنتي 1916 – 1917 . رئيس جمهورية المانية منذ سنة 1925 . سلم السلطة في سنة 1933 لهتلر زعيم الفاشيين .

« وتتابعت التنازلات فيما يتعلق بالقضية الوطنية ، تنازل عن الحل الشامل لصالح الحل الثنائي بين مصر و اسرائيل ، وتنازل عن الحل الثنائي لقبول حل جزئي بفتح قناة السويس ، وابداء الاستعداد لدخول مفاوضات مباشرة بمجرد قبول فكرة الانسحاب من سيناء الى الحدود الدولية ، ووافقت مصر على مرابطة قوى دولية في شرم الشيخ ، لا يمكن اجلاؤها الا بموافقة الدول الاعضاء بمجلس الامن ، وتعهدت بتوقيع صلح نهائي مع اسرائيل ... الخ .. هذا بالاضافة الى التراجعات على النطاق المحلي و العربي ، لطمأنة الغرب بالتخلي عن طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ومعاداة الغرب ، وانهاء « الوجود » السوفياتي و فتح الاسواق للاحتكارات الرأسمالية ... و رغم ذلك يواصل الاستعمار والصهيونية ضغوطهما لانتزاع مزيد من المكاسب .

منذ انقلاب 14 مايو سيطرت على السلطة في مصر قوى يمينية رجعية ، كانت لها اهداف محددة ومخطط متكامل ، يجري تنفيذه وفق خطوات مدروسة ، وبصورة تدريجية ، تجنبا لاثارة ردود فعل جماهيرية واسعة . فكل خطوة الى الوراء يسبقها أعداد وتمهيد على صعيد فكري وسياسي وقانوني وتنظيمي ، وتتلوها خطوات اخرى تسير في طريق مرسوم » [10]

هذا هو رأي الشيوعيين المصريين في الوضع السياسي المصري الذي أعد منذ عام 1971 ، والذي صدر عن دار الفارابي قبل حرب تشرين 1973 .

فهل نحتاج بعد هذا القول ، الى شهادة عن عدم وطنية قيادة الحرب الرابعة ؟

انني اقول هذا الكلام مع معرفتي بان المواطن العربي بصورة عامة ما يزال غير قادر على اكتشاف حقيقة حرب تشرين و مضمونهاالتضليلي و لا وطنية قيادتها . بسبب جو التضليل والخداع الذي احاطوه به من جهة وتأييده، اي المواطن العربي، للقتال ضد العدو الامبريالي – الصهيوني من جهة اخرى ولكن اذا تذكرنا قول لينين (المهم بالنسبة للرجل العامي هو معرفة اين تقف القوات و لمن الغلبة في الوقت الراهن . اما بالنسبة الى الماركسيين فان المهم هو معرفة ما الهدف الذي تشن لاجله الحرب الراهنة التي يمكن تارة لهذا الجيش وطورا لذاك ان ينتصر فيها) [11] .

اذا تذكرنا قول لينين هذا فاننا سنقدر ساعتها اهمية الخوض بهذا الموضوع بصراحة .

ان التفكير في الحرب لم يكن دافعه التعبير عن المشاعر الوطنية لدى الجماهير العربية التي تتوق للكفاح الثوري ضد عدوها الصهيوني الاستعماري والتي ترى القيادات البرجوازية اليمينية في نهوض حركتها خطرا يهدد سلطتها البرجوازية .. ان التفكير في الحرب كان دافعه تضليل الجماهير وتكريس اضطهادها في آن معا .. تضليل الجماهير يتجلى في ادعاء هذه القيادات بأنها شنت الحرب ضد العدو الاسرائيلي لاجباره على الانسحاب ، بينما الحقيقة هي غير ما تدعيه هذه القيادات . وتحت ستار الحرب وبواسطتها تعمد الى اضطهاد الجماهير وقواها التقدمية . فهي ترى في الحرب وسيلة لصرف الانتباه عن تذمر الجماهير المتعاظم واستيائها المتفاقم ، وسحق حركتها الثورية الصاعدة . ولعل الحملة الرجعية التي تشن اليوم على الناصرية و منجزاتها دليل على صحة ما ذهبنا اليه ، فلولا الحرب و الظروف التي خلقتها، لما اتيح لهذه القيادات اليمينية ان تشعر بانها قادرة اكثر من ذي قبل على الافصاح عن مضامين برامجها الرجعية ، ولما كان بوسع الكتاب الرجعيين العملاء ان يتبوأوا المراكز التي يشغلونها رغم ادانتهم بالعمالة للامبريالية بل أنهم تبوأوها لانهم عملاء للامبريالية وما كان بامكانهم ان يتجرؤوا على ما يتجرؤون على قوله اليوم ! ...

قلت ان التفكير بالحرب لم يكن منبعثا من الشعور بالمسؤولية الوطنية و الرغبة في التعبير عن مشاعر الجماهير العربية ومطامحها ، وانما كان منبعثا من الرغبة في ممارسة الغش و الخداع تحت ظلال الحرب و ستار معطياتها !

ورب قائل يرد على هذا الكلام بقوله : ان صانعي حرب 6 تشرين هم الجنود البواسل الذين اقتحموا اكبر عائق مائي و حطموا امنع خط عسكري معاد وتسلقوا قمم الجبال ، وهم في غمرة نشوتهم وابتهاجهم بالسماح لهم لان يتعاملوا مع عدوهم القومي الذي اذلهم عام 1967 ، بغفلة منهم ، اذلالا منعتهم قياداتهم البورجوازية اليمينية العاجزة من غسل عاره طيلة السنوات الماضية ... رب قائل يقول مثل هذا القول الذي يستحقه جنودنا البواسل الذين سجلوا بطولات فذة ، هي بحد ذاتها حيثيات ادانة جديدة تضاف للحيثيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، التي تؤكد عجز هذه القيادات عن مواصلة السير بالثورة الى نهايتها الحاسمة ، حيث تتحقق مصالح الجماهير وتسود مشيئتها وتتأكد سعادتها ، وحيث ينتفي الاستغلال انتفاءا

---

[10] ط.ث. شاكر . قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر ص 84 . دار الفارابي .

[11] لينين : نصوص حول الوطن والوطنية - ترجمة وتقديم جورج طرابيشي - دار الطليعة والنشر - ص 102 .

يمثل الخطر الذي يهدد امتيازات المتربعين على كراسي انظمة بورجوازية الدولة ومصالح عموم الطبقة السائدة في هذه الانظمة.

ورب قائل اخر يرد على هذا الكلام بقوله ايضا : ان صانعي الحرب الرابعة هم المقاومة الفلسطينية الباسلة وجماهير الشعب العربى المناضلة التي اعطت للحرب كل تأييدها ، ومنحتها من اول وهلة كل ما تستطيع من دعم عملي ومعنوي قد يقال مثل هذا القول الوجيه الذي تستحقه مقاومتنا الباسلة وجماهير شعبنا المناضلة البطلة ، التي تتحرق للقتال ضد العدو الامبريالي-الصهيوني ، وهي واثقة من قدرتها على انتزاع النصر من عدوها مهما تعاظمت التضحيات ومهما طال الزمن ، اذ ليس اكثر عطاء من الجماهير واجزل سخاء منها ، في التضحية والفداء ، في سبيل تحقيق أمانيها واهدافها الطبقية و القومية ، وليس اطول نفسا واشد جلدا واجمل صبرا وارسخ صمودا بوجه الصعاب و تحمل مشاق النضال ومتاعبه من الجماهير الشعبية الكادحة .

قد تقال مثل هذه الاقوال التي لا تعوزها الوجاهة ، بيد أن هذه كلها لا يمكن اخذها بعين لاعتبار عند الحساب النهائي ، ذلك ان الاعتبار الوحيد الحاسم الذي يبرز في نهاية المطاف هو اعتبار الجهة صاحبة القرار الاول والاخير في اطلاق النار وايقافها ، لان هذه الجهة هي التي تحدد هدف الحرب ومضمونها ، بغض النظر عن سلامة هذا التحديد وصحته وصواب نتائجه اوعدم صوابها . فقرار هذه الجهة هو القرار الفصل الذي يحسم الحرب ويقرر مصيرها ، ويجعل منها امتدادا لسياسة الطبقة القائدة للحرب .

وبناء عليه ، فبإمكاننا الان ، القول انه لا يمكن اعتبار حرب تشرين حربا للجنود وللمقاومة وللجماهير العربية ، وانما هي حرب الانظمة البرجوازية المتعاونة مع الانظمة الرجعية ، وعلى وجه التخصيص ، هي حرب انظمة المواجهة وتحديدا ، انها حرب مصر وسوريا . اما العراق وجيشه والجزائر وجيشها و المقاومة الفلسطينية و الجماهير العربية ، فهي قوى احتياطية جندتها المعركة دون سابق استعداد كاف لخوض الحرب ، تجنيدا دفعها للمشاركة في الحرب على اساس غير الاساس الذي انطلقت منه الجهة التي قررت الحرب و عينت مضمونها وحددت ساعة صفرها. ولذلك فان هذه القوى الاحتياطية كانت تناضل على جبهتين : جبهة المشاركة في الحرب بكل ما اوتيت من قوة وجبهة تطوير الحرب الى حرب تحرير وطنية تجبر العدو على الانسحاب من الارض التي احتلها ، بيد ان نضال هذه القوى كان يصطدم بمشيئة الجهة القابضة على ناصية الحرب يؤدي الى افلات زمام قيادة الحرب من يد القوى القائدة للحرب ، لكي تتسلمه القوى الثورية !

وفي ضوء كل ما نقدم ، فقد أصبح واضحا أن حرب السادس من تشرين كانت وفقا للمضمون المحدد لها من قبل المؤسسة السياسية التي قادتها ، اعني النظامين المصري والسوري ، حربا من اجل التسوية السياسية وهي تسوية استسلامية تنتهي بايصالها الى الارتماء باحضان الامبريالية و الى معاداة الجماهير وقواها التقدمية وبذلك فانها تكرس سلطة اليمين الرجعي في مصر والانظمة السائرة بطريق انهاء حالة الحرب مع اسرائيل والاعتراف بها والتنازل عن فلسطين المغتصبة ، للحركة الصهيونية .

إن هذا الاستنتاج يقودنا فورا إلى القول بان الطبقة الحاكمة في مصر ، هي طبقة يمينية مرتبطة بالامبريالية الاميركية و المتحالفة مع الرجعية السعودية ، و بالتالي فانها لا تتصف بالوطنية و لا تحمل مشاعر جماهيرنا القومية . و لكن السيد سعيد الجواد يقول كلاما اخر :

(لقد خاضت حركة التحرر - العربي - بقيادتها الوطنية الرسمية « الإنظمة » حربا وطنية محدودة بهدف معلن هو « تحرير الارض العربية والفلسطينية المحتلة في العام 67 » . وتوقفت الحرب قبل ان تتمكن من انجاز هدفها المعلن) [12]

لاحظ ان السيد جواد لا يكتفي بوصف اهل النظام المصري بانهم وطنيون فحسب ، بل انه يعتبرهم قادة حركة التحرر الوطني العربية – وتعبير (القيادات الوطنية لحركة التحرر العربية –الانظمة)[13] يتكرر اكثر من مرة ، رغم انه يؤكد على ان (هذه القيادة – يقصد القيادة المصرية بشكل خاص – لا تستطيع التعبير عن قناعات الجماهير و لا تستوعب استعداداتها ، بل و منعتها باصرار من المساهمة في التحضير للحرب ، او الاشتراك بالقتال فيها ، و بعد ان اوقفت الحرب المحدودة ، دون تحقيق اهدافها ، بدأت التحرك باتجاه التسوية السياسية على اساس القرار 242) [14]

---

[12] جواد المرجع السابق .

[13] جواد المرجع السابق .

[14] جواد المرجع السابق .

ومع تأكيده هذا ، فهو يصر على ان هدف الذين قادوا الحرب هو تحرير الارض العربية الفلسطينية المحتلة ، اما حجته الوحيدة ، فهي ما تفوه به ابطال التسوية الاستسلامية مع اسرائيل ، اي انه يتخذ من ادعاءاتهم حجة وبينة على صحة أرائه . أهذه هي الماركسية ؟ ايصح من وجهة نظر ماركس و انجلز ولينين ان نأخذ تخرصات اليمينيين الرجعيين ، اعداء الجماهير . مأخذ صدق وايمان ؟ فاذن اليك رأي ماركس بهذا الخصوص ، يا

حضرة الماركسي اللطيف :

(وكما ان المرء يفرق في الحياة بين ما يحمله الانسان من رأي وما يقوله عن نفسه وبين ما هو في الواقع وما يفعله ، هكذا ايضا في الصراعات التاريخية لا بد للمرء بالاحرى ان يميز بين اقوال الاحزاب وتخيلاتها وبين طبيعتها الحقيقية ومصالحها الحقيقية ، بين فكرتها عن نفسها وبين حقيقتها) [15]

وبعبارة اخرى : (فكما اننا لا نستطيع ان نحكم على فرد من خلال الفكرة التي يكونها حول نفسه ، كذلك لا نستطيع ان نحكم على) هذا الحزب او ذاك من خلال وعيه لذاته (بل يجب على العكس من ذلك ، تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية بالصراع القائم بين القوى الانتاجية الاجتماعية وعلاقات الانتاج.) [16]

واذن ، فلا يصح ان نعتمد ، في محاكمتنا للحرب ولطبيعة قيادتها ، على ادعاءات اهل النظاميين المصري و السوري ، ولا بد ان يكون مقياسنا علميا كما هو شأن معلمي الطبقة العاملة .

واذا كانت قيادة الحرب ، قد منعت الجماهير من المساهمة في الحرب ، واصرت على عدم مشاركتها ، فكيف يصح اعتبار هذه القيادة التي شنت الحرب وقادتها وطنية ؟ الا ينبغي ، بل الا يحتم علينا الواجب والمسؤولية التاريخية ان نقف قليلا لنتساءل : لماذا اوقفت هذه القيادة الحرب قبل ان تحقق اهدافها ، قبل ان نرمي الكلام على عواهنه ، و نعتبط الصفات اعتباطا يضفيها على غير مسمياتها ؟

قد يقال على هذا السؤال بان القيادة المصرية خشيت او شعرت بعدم قدرتها على مواصلة الحرب . بيد ان هذا القول مطعون فيه ومفند من قبل الوقائع التي هي اشياء عنيدة كما يقال . اذ لم يعد سرا ان وراء قصة (الجيب) الاسرائيلي على الضفة الغربية القناة اكثر من علامة استفهام و استغراب وشك خاصة عندما تثار قضية حضور الشاذلي الى سوريا ابان الحرب للتداول مع القادة السوريين لشن هجوم مضاد على الهجوم الاسرائيلي ولهذا السبب اعلن الرئيس السوري انه فوجيء بايقاف اطلاق النار . ثم ان استمرار سوريا مدة تسعين يوما وهي تقاتل اسرائيل لوحدها لدرجة ان القادة السوريين زعموا معها بان اتفاق فك الارتباط هو ثمرة من ثمار صمودهم وقتالهم الذي اجبر اسرائيل على الموافقة على الاتفاق والاقرار بالانسحاب اقول اذا كانت الجبهة السورية لوحدها قادرة على مواصلة القتال مدة 90 يوما واجبار اسرائيل على الانسحاب ، افلا يصبح الادعاء بعدم القدرة على مواصلة الحرب من قبل الجبهتين المصرية والسورية معا وبمشاركة فعليه من جيوش العراق والجزائر وليبيا وبدعم من سائر اقطار الوطنٍ العربي ، ادعاء مشكوكا فيه ، على الاقل من قبلنا ؟

ثم ماذا بقي لدى هذه القيادات من المواصفات و الخصائص الوطنية ؟ ألم تكف عن النضال ضد الامبريالية ؟ بل واكثر من ذلك ألم ترتمي باحضان اميركا عدوة الشعوب رقم 1 ؟ ألم تضطهد جماهيرها و تلجم حركتها وتمنع نشاطها ؟

لقد اشترط لينين والاممية الشيوعية توفر شرطين للعمل المشترك مع الحركات البرجوازية هما ان تكون (هذه الحركات ثورية حقا) [17] وان لا يعيقنا ممثلوها (عن تربية وتنظيم جماهير الفلاحين والجماهير الفقيرة من المستثمرين تربية ثورية

---

15 كارل ماركس : الثامن عشر من برومير لويس بونابرت - المختارات م1 ص 191

16 ماركس : اسهام في نقد الاقتصاد السياسي - ترجمة انطوان حمصي ص 26 . .

17 لينين حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية - تقرير للجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات - ص 381 .

وتنظيما ثوريا)[18] وفي حال انعدام هذين الشرطين فان الشيوعيين . ملزمين في (ان يناضلوا ضد البرجوازية الاصلاحية) [19] فنحن اذن، ملزمين بالنضال ضد هذه القيادات

التي كفت عن النضال ضد الامبريالية ، وانتقلت الى صفوفها والتي تمنعنا من تنظيم الجماهير ثوريا وتربيتها ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية ، ثم كيف يمكن ان نوفق بين القول بان هذه القيادات البرجوازية هي التي شنت الحرب وهي التي (حكمت وتحكمت في مسارها) و هي التي ما (يزال دورها رئيسيا و حاسما في التعامل مع نتائج الحرب وتحديدها) والتسوية من اهم نتائج الحرب .. كيف يمكن ان نوفق بين هذا القول وبين الدعوة لمشاركة القيادات البرجوازية المستسلمة للامبريالية بنشاطها من اجل انجاز التسوية ؟

اليس معنى هذا اننا نجند قوانا لدعم برامج هذه القيادات اليمينية المعادية للجماهير ، بدلا من ان نخوض النضال ضدها بغية فضحها و تعرية برامجها وارتباطاتها ؟

واذا كنا لسنا بقادرين على ان نكون مؤثرين ابان الحرب وفي ظرونها ، فكيف يصح الادعاء ان (كل خطوة تراجعية للانظمة الوطنية على هذا الطريق – اي طريق التسوية الاستسلامية - تفتح افاق معارك وطنية وطبقية متصاعدة) [20] ؟ وهل يعني مثل هذا القول غير الضحك على الجماهير وتضليلها ؟ ثم أليس التفاوض مع اسرائيل و الاعتراف بها خطوة تراجعية ؟

ان الدعوة للسير بركاب القيادات المرتمية باحضان الامبريالية الاميركية هي دعوة ليست لها ادنى صلة بالمنهج اللينيني .

ان القيادات التي تندد بالاتحاد السوفياتي الصديق وتطرد خبراءه بناء على طلب «كيسنجر » الذي تضمنته عبارته الشهيرة « اطردوا الخبراء السوفييت » ، وتعترف باسرائيل وترتشي من الامبريالية ، وتركع على اعتاب زعيمتها ، مقابل بضعة مئات من ملايين الدولارات ... ان مثل هذه القيادات لم تعد تستحق ان توصف بالوطنية ولا يصح ان تنعت بهذه الصفة فضلا عن وصفها بانها قيادة حركة التحرر الوطني العربية !

ان الطبقة التي قادت الحرب الرابعة اي طبقة برجوازية الدولة هي طبقة يمينية رجعية لم تعد ترى موضوعا للخلاف بينها وبين الامبريالية ولا يصح ان نتوقع منها شن حرب وطنية تعبر عن أماني جماهيرنا ومشاعرها القومية ، ولا يصح القول بان حرب اكتوبر ليست حربا تضليلية وانها ليست حرب التسليم لاسرائيل والامبريالية ٠ وليس صحيحا القول ان السادات اراد ان يكون بوضع تفاوضي افضل ، من اجل انجاز التسوية ، بل انه اراد ان يعزز قدرته على تضليل الجماهير ويوفر الظرف المناسب للاجهاز على ما تبقى من معالم ثورة الثالث والعشرين من تموز 1952 ، التي هي بحد ذاتها عقبات في طريق الارتداد والانحراف عن منهج الثورة الوطنية الديمقراطية التي فجرتها قيادة عبد الناصر ٠

ان المعطيات الايجابية لحرب تشرين لا يعود الفضل في بلورتها الى قيادة السادات ، وانما هي معطيات افرزتها قدرة المقاتل العربي واستعداده للقتال ضد اسرائيل ، وبالتالي فهي براهين ادانة جديدة ضد سياسة الإستسلام التي يتبعها ابطال « اتفاقات فك الارتباط » و « المفاوضات المباشرة » ... انها معطيات تعبر عن القدرات الكامنة لدى جماهيرنا العربية التي تشكل هيمنة القيادات اليمينية عليها عبئا يقيد حريتها ويحول بينها وبين مواصلة القتال ضد العدو الصهيوني حتى يندحر ٠

وبعبارة اخرى ان المقدمات الموضوعية التي ادت الى هزيمة الخامس من حزيران 1967 ، ذاتها قد استخدمتها القيادات البرجوازية لتشكل اساسا موضوعيا للحرب الرابعة ، لذلك جاءت الحرب لتكون خطوة جديدة حاسمة على طريق « الحل السلمي » والاعتراف باسرائيل .

(ان بداية القتال وسير الحرب ثم وقف اطلاق النار والتطورات اللاحقة كلها تؤكد ان هدف الدوائر الحاكمة لم يكن اكثر من شن حرب محدودة واستخدامها لدفع وتنشيط الحل السلمي الاستسلامي للقضية ٠ ومن ثم كان هناك وجهان للحرب : بسالة

---

18 لينين حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية - تقرير للجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات - ص 381 .

19 لينين حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية - تقرير للجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات - ص 381 .

20 جواد : المرجع السابق ص 43 .

وتضحية ابناء الشعب ، ابناء العمال والفلاحين من جنود وضباط واقتحامهم لاستحكامات العدو المحصنة واسترخاصهم الحياة في سبيل تحرير الارض المحتلة واستعدادهم لبذل المزيد من التضحية من جهة) [21] وتنفيذ قيادة الحرب للخطة المرسومة والهدف المتوخي من الحرب والمحدد بدعم مواقع الطبقة الحاكمة في السلطة واستعادة هيبتها واستغلال الحرب لتحقيق مساومة رخيصة قذرة مع العدو الصهيوني – الامبريالي . لذلك فان الحرب الرابعة مثلث بشكل من الاشكال امتدادا لهزيمة حزيران .

ولربما ذكرت هنا ، على سبيل الحيلولة دون اي التباس يشوب هذا الكلام ويصمه بعدم الموضوعية والعلمية ... لربما ذكرت الحديث الذي ادلى به الرئيس السادات لصحيفتي « نيوزويك » و « التايم » ، اذ قال الرجل الذي قاد الحرب وحدد مضمونها ما يلي :

« فقد وعت – يقصد أميركا – بسرعة اثار حرب تشرين الاول ، وكانت تلك نقطة التحول التي حدت بالولايات المتحدة الى القاء نظرة جديدة على الشرق الاوسط والى الاتجاه تبعا لذلك نحو سياسة قوامها العمل من اجل سلام قائم على العدل في المنطقة .

وقد اقتنعت من محادثاتي مع الدكتور كيسنجر انه يرفض الفكرة الساذجة التي يعتنقها مخططي الاستراتيجية عندكم حين ينظرون الى اسرائيل ، او على الاقل كانوا ينظرون اليها في الماضي ، على اساس انها رجل الشرطة الاميركي في هذا الجزء من العالم ، غير ان المعادلة اختلفت الان كليا، فقد غير السادس من تشرين الاول اشياء كثيرة »[22] وعلى سبيل المثال ف « أن النظرة القائمة على الحدود الامنة عن طريق اغتصاب اراضي الغير ثبت فشلها » [23] و« المطلوب هو الانسحاب من الاراضي التي احتلت عام 1967 وحل المشكلة الفلسطينية على اساس الحقوق الوطنية المشروعة للفلسطينيين ، وهذا يعني انهاء حالة الحرب التي عكرت صفو المنطقة طوال ستة وعشرين عاما ، وهذا بدوره سيعني ان عهدا جديدا من السلام سيصبح امرا ممكنا»[24] .

وعن دور اسرائيل في المنطقة بعد التسوية وانهاء حالة الحرب معها يقول السادات :

« ... في اعتقادي انه لا بد ان يكون هناك تفكير جديد في اسرائيل نتيجة حرب تشرين ، كما ان هناك تفكيرا جديدا في العالم العربي ، وانهاء حالة الحرب هو الانجاز الذي يجب ان نفكر به جميعا ونعمل من اجله » .

وللتدليل على صحة حرصه على سلامة اسرائيل واستعداده للتعايش معها يكشف الرئيس السادات بعضا من اسرار حرب السادس من تشرين فيقول :

« انني اتعهد بسلام حقيقي ومشرف . ولو كنت انوي تدمير اسرائيل فلماذا لم استخدم ما لدينا من صواريخ ارض – ارض في أثناء الحرب ؟ انني استطيع ان اخبرك بشيء لم يعرفه حتى الان سوى قلة من الناس . كانت صواريخنا البعيدة المدى مصوبة نحو 3 مدن رئيسية اسرائيلية . ولماذا لم اصدر امرا بشن هجوم شامل ضد الجيب الذي كان لهم في الضفة الغربية للقناة ؟ كل ما كان مطلوبًا هو ان اصدر امرا بسيطًا فيتم القضاء على هذا الجيب في وقت قصير جدًا ، وكانت لدينا صواريخ مصوبة الى كل دبابة من الدبابات الاربعمائة التي كانت تكمن ليلا في خنادق محفورة ثابتة . وفي لحظات معدودات كان يمكن ان ندمر نصف دباباتهم في الضفة الغربية حتى اذا قدرنا ان بعض الصواريخ ستخطئ الهدف ، ومن جهة اخرى كانت لنا 800 دبابة حول الجيب الاسرائيلي معدة لتجهز على ما بقي من القوة الاسرائيلية »[25] .

ان « الطريق الان هو السلام . سلام قائم على العدل تستطيع كل دول المنطقة ان تحيا في ظله حياة هانئة رغدة ، واتجاهي واضح وضوح الشمس . وسنناقش هذا كله بصراحة في جنيف . وتلك – اي المفاوضات المباشرة – احسن طريقة

---

[21] تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني مجلة الهدف البيروتية العدد 257 في 15 حزيران 1974 .

[22] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[23] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[24] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[25] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

لاقناع الاسرائيليين »[26] وعن كيسنجر يقول السادات انه « ادخل تطورا ثوريا في مسار السياسة الاميركية في منطقتنا»[27] ويضيف قائلا : « والاهم من هذا كله انه يبعث على الثقة » [28] ويشيد بنيكسون حين يقول « أن بعضا منكم ايها الاميركيون لا يقدر نيكسون كما نقدره نحن » [29] .

ماذا في هذا الكلام ؟

أولا : ان السادات يرسم سياسة متكاملة قوامها انهاء حالة الحرب واقامة سلام دائم « تحيا في ظله دول المنطقة ، حياة هانئة رغدة » .
انه يعتبر الحرب ضد اسرائيل ، عملا يعكر (صفو المنطقة ...) ! ولذلك فهو مهتم بإنهاء حالة الحرب مع اسرائيل لكي يستتب «السلام» لها ، على حساب حق الامة العربية طبعًا !

ثانيا : ان المفاوضات المباشرة هي احسن وسيلة لاقناع الاسرائيليين بصدق نوايا اهل النظام المصري تجاه اسرائيل واميركا .

ثالثا : وانه يثق بكيسنجر ونيكسون لدرجة تفوق ثقة الامبرياليين بهما . ويعتبر السياسة الكيسنجرية سياسة ثورية في منطقتنا .

ومن هذا الكلام يمكن ان نفهم حيثيات ودوافع الهجوم على عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ووصم سياسته بالاجرام واللاثورية . فما دامت السياسة الاميركية تعتبر سياسة ثورية بنظر اهل النظام المصري ، فانه يصبح امرا طبيعيا ان تدان سياسة قيادة عبدالناصر التي دخلت في صراعات مريرة مع السياسة الامبريالية الاميركية . وهذا لا يعني التخلي التام عن كل ما له علاقة بثورة 23 تموز 1952 ونهجها فقط ، بل وادانة لهذا النهج بكامله . وهذا هو التفسير المنطقي لحماس اهل النظام المصري للتسوية السياسية والعمل المشترك مع الرجعية والامبريالية وبالتالي مع اسرائيل .

رابعا : وقد احدثت حرب تشرين تغييرا ، فحواه ان اسرائيل لم تعد وحدها موضع ثقة اميركا في المنطقة كما كانت

الحال قبل حرب تشرين وانما اصبح الان رجال شرطة لاميركا يحرسون مصالحها في كل من مصر والسعودية وكل البلدان السائرة في طريق التسوية الاستسلامية و « السلام العادل والدائم ! » الذي تعمل اميركا على صنعه في المنطقة والذي يضمن لها ولعملائها مصالحهم طبعا !

خامسًا : ان الموضوع الذي يشغل بال الرئيس المصري ليس هو فلسطين . فهذه اصبحت ارضا اسرائيلية من وجهة نظره وانما هو الارض المصرية . من هنا فهو يرى بان سياسة اسرائيل المبنية على اساس « اغتصاب اراضي الغير ثبت فشلها » وهذا يعني ببساطة ان فلسطين لم تعد ارضا مغتصبة من قبل اسرائيل فهي ليست حقا قوميا فلسطينيا مشروعا . اما حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة فلا تعني اكثر من اعطاء المقاومة الفلسطينية الضفة والقطاع مقابل تنازلهم عن فلسطين
اما الموقف الاستسلامي الذي يموهه حواتمه بلاءاته السفسطائية ويدجله جواد بتعبير (الانسحاب الكامل غير المشروط) [30] فانه لا يثير القلق لدى الرئيس السادات ، لانه مطمئن « دعنا نعطيهم – اي للفلسطينيين – فرصة ليعبروا عن افكارهم في جنيف ولن يكون هذا بمثل الصعوبة التي يتصورها كثيرون »[31] .

سادسا : ولعل اخطر ما في كلام الرئيس السادات ، هو تأكيده للكلام الذي سمعناه على لسان ممثل الاتحاد الاشتراكي المصري في احدى الاجتماعات حين قال : بان الرئيس المصري رفض ضرب الجيش الاسرائيلي ، بحجة « خليهم يمروا لندعس على رأسهم بعدين ! » . وقد فسر هذا الكلام على انه محاولة لتأكيد النوايا السليمة والحرص على عدم تدمير اسرائيل ولذلك ربط موضوع اقالة الشاذلي والقادة العسكريين الذين قادوا الانتصارات الرائعة التي حققها الجيش المصري بتعارض موقفهم ووجهة

---

[26] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[27] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[28] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[29] جريدة النهار البيروتية العدد 12064 في 19 – 3 – 1974 .

[30] جواد : المرجع السابق

[31] جريدة النهار المرجع السابق .

نظرهم مع وجهة النظر التي عبر عنها حرص الرئيس السادات على عدم ضرب المدن الاسرائيلية والحفاظ على سلامة الجيش الاسرائيلي ، اذ كان هؤلاء القادة مصممين على تصفية الجيب الاسرائيلي ومواصلة الهجوم حتى ترضخ اسرائيل وتنسحب بدون قيد او شرط !

ان البطولة التي سجلها الجيش المصري الباسل بعبوره لقناة السويس باعتبارها اكبر عائق مائي وباقتحام خط بارليف المنيع قد احتلت مكانتها في سجل التاريخ و سيبقى المواطن العربي يحفظها ليس باعتبارها وسام اعتزاز وفخر فقط ، بل بكونها بينة براءة لذمته من كل التخاذل والانحراف والتواطؤ والخيانة التي اتخذت من تلك البطولة وسيلة لتحقيق اغراض تدنس طهارة الدماء الزكية التي صنعتها ... نقول ان عبور القناة واقتحام خط بارليف كان بطولة واية بطولة ، ولكن اذا كنا نعتبر ذلك بحق بطولة ، فماذا يمكن ان نطلق على عبور القوات الاسرائيلية للقناة واقتحام مواقع صواريخنا في الضفة الشرقية ؟

لقد عبرنا القناة من اضيق مناطقها ، واقتحمنا خط بارليف في غفلة من العدو ، بينما عبرت القوات الاسرائيلية القناة من أوسع مناطقها ، في وضح النهار وتحت سمعنا و بصرنا ؟ هل نسمي عبور القوات الاسرائيلية بطولة خارقة ؟
كلا ، نعم كلا ! وهذه هي الحيثيات :

ان طلائع القوات الاسرائيلية التي عبرت القناة من البحيرات المره كانت قليلة العدد جدا (سبع دبابات حسب بيان الناطق العسكري المصري) . والسؤال هو ، هل كان بالامكان تدميرها والقضاء عليها قبل ان تتمركز في مواقعها وتتعزز ؟

ان الرئيس المصري يجيب على هذا السؤال بالايجاب وهو على صواب ، ذلك ان طلائع القوات الاسرائيلية مهما ابدت من مقاومة لا يمكنها ان تقوى على الصمود وكان بالامكان تدميرها و القضاء عليها بحكم ضآلة عددها ، فلماذا لم تدمر ؟ ولماذا لم يقضي عليها ؟

اذا كان بامكاننا ، بشهادة الرئيس المصري ان نقضي على الجيب الاسرائيلي بعد تمركزه وبلوغ قواته اعداد كبيرة (400 دبابة) . فما هو المانع الذي حال دون تحطيم محاولة العبور وهي في مهدها ؟

ان قول الرئيس المصري يؤكد على ان القوات الاسرائيلية لم تصنع بطولة خارقة بعبورها القناة ، لان عملية العبور ماكان بامكان الجيش الاسرائيلي ان يحققها لولا التواطؤ الذي ركبه « شارون » في وضح النهار ليعيد للجيش الاسرائيلي هيبته التي مرغها المقاتل العربي بوحل الهزيمة الجزئية التي ضيعها التواطؤ مع الامبريالية .

وأكثر من هذا ، لا بد ان نتأمل كثيرا في تصريحات السادات هذه ، وننظر اليها من ناحية هامة ثانية ، غير ناحيتها العسكرية البحتة ، اي من ناحية قوات العدو العسكرية . دعونا ننظر الى امتناع قادة النظامين المصري والسوري عن تدمير المدن الاسرائيلية وبالتالي تدمير المصانع و المعامل اي تدمير المراكز الاقتصادية الاسرائيلية . فاذا كانت الحرب (ما هي الا نتاج للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، ولقد قال فردريك انجلز ، في اثباته للعلاقة المشتركة للحرب –كشكل من اشكال القوة وقاعدتها المادية ، السلاح والجندي – قال ان الحرب ليست مجرد عمل اختياري « ... يعتمد انتصار القوة على انتاج السلاح . ويعتمد انتاج السلاح بدوره على الانتاج بوجه عام ، وبالتالي ... على القوة الاقتصادية ، وعلى الموقف الاقتصادي ، وعلى الوسائل المادية ، التي تمتلكها هذه القوة »)[32] .

واذا كان (السلاح ، التكوين ، التنظيم ، التكتيك والاستراتيجية ، تتوقف كلها قبل اي شيء على مستوى الانتاج الذي تم الوصول اليه في اللحظة المحددة وعلى وسائل المواصلات)[33] .

واذا كانت (السياسة هي التعبير المركز عن الاقتصاد ... ولان الحرب هي جزء من السياسة ، فللحرب ، اذن ، قاعدة

---

32 الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية .مجموعة من القادة السوفيتيين ترجمة محمد عبد الحليم ابو غزالة، اصدار دار الكاتب العربي لطباعة والنشر – ص 51 ، 54 .

33 الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية .مجموعة من القادة السوفيتيين ترجمة محمد عبد الحليم ابو غزالة، اصدار دار الكاتب العربي لطباعة والنشر – ص 51 ، 54 .

اقتصادية) [34] .

واذا كان هدف حرب تشرين هو ارغام العدو الاسرائيلي على الانسحاب (كما يزعم حكام مصر وسوريا) ، فلماذا اذن ، امتنعوا عن ضرب المراكز الاقتصادية العسكرية الاسرائيلية ، اي لماذا لم يضمنوا خطتهم ضرب اهداف المؤخرة مثلما ضربوا القوات العسكرية ؟

فقد كان الجيش الاسرائيلي مهزوما في الايام الاولى للحرب ، ولو استخدمت قيادة الحرب الصواريخ البعيدة المدى التي اشار اليها الرئيس المصري ، واقرنوا الضربات العسكرية الأولى بضرب اهداف المؤخرة ، لخلقوا ارتباكا حقيقيا في اوساط النظام الاسرائيلي ، خلقا كان يمكن معه ان تقبل اسرائيل بالانسحاب بدون قيد او شرط ، بدون المفاوضات المباشرة والصلح معها والاعتراف بها وبالحدود الامنة التي تريدها هي . لماذا ، اذن ، لم يفعلوا ، بل لماذا لم يضعوا بحساباتهم امرا ضروريا من امور الحرب ؟ أليس لانهم لم يكونوا اصلا عاقدين العزم على خوض الحرب من أجل ارغام اسرائيل على الانسحاب ، بل من اجل خلق ظروف تستطيع معها الولايات المتحدة الاميركية ان تتحرك وفقا لخطة العمل المتفق على خطوطها العريضة من أجل ترتيب اوضاع مستقبل المنطقة ودور اميركا وحلفائها القدامى والجدد فيها ؟

اذا كانت الحرب امتدادا للسياسة بوسائل اخرى . واذا كانت كل حرب ترتبط (بشكل لا يقبل الانفصام مع النظام السياسي الذي تنبثق عنه . انها السياسة التي تمارسها قبل الحرب بمدة طويلة دولة محددة ، وطبقة محددة داخل هذه الدولة . تلك السياسة التي تتابعها هذه الطبقة نفسها خلال الحرب بشكل محتوم مؤكد ولا تبدل سوى شكل عملها .)[35]

واذا كان صحيحا ، (ان الحرب جزء من كل ، وهذا الكل هو السياسة) [36] فان (الماركسية – اللينينية تؤكد ان المسألة الاساسية ، عند تحليل وتقدير قيمة الحرب ، يجب ان يكون البحث عن ماهية الطبيعة الطبقية للحرب موضوع الدراسة ، وما هي
الطبقات التي تديرها ولاي اهداف تدار ، وما هي الطبقات التي قامت بالتحضير لها وتوجيهها) [37] .

(من هنا يمكن الوصول الى استنتاج هام ، مؤداه ان الحرب باعتبارها امتداد للسياسة الطبقية تتميز دائما بخاصة طبقية. وكل حرب ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام السياسي الذي تنبع منه .)[38]

اذا اتفقنا على ان الحرب امتداد للسياسة ، وان الهدف السياسي الذي توخاه الذين خططوا لحرب تشرين وقادوها ، هو التسوية السياسية اي الاعتراف باسرائيل والصلح معها ، وليس العكس .. اذا اتفقنا على هذه الحقيقة التي اصبحت معروفة للجميع فاننا نستطيع ساعتها ان نتفق ايضا على (ان طبيعة الهدف السياسي تحدث تأثيرا حاسما على ادارة الحرب . وهذا حقيقي حيث ان الهدف السياسي يحدد طبيعة الحرب ، وما اذا كانت وطنية او غير وطنية . وهذا يؤثر تأثيرا جذريا على الاستراتيجية) [39] .

لقد تواطأوا مع الامبريالية لكي يحققوا غرضين : ردع اندفاع القوات العربية لكي تقبل بايقاف اطلاق النار ، اولا والدخول في المفاوضات المباشرة من اجل تحقيق التسوية ثانيا . ذلك ان شرط اميركا للقبول بايقاف النار والدخول في المفاوضات ، كان اعطاء الجيش الاسرائيلي وبالتالي الحكومة الاسرائيلية ، فرصة لاسترداد هيبتها .

يقول الجمصي رئيس اركان الجيش المصري : ان هدف حرب تشرين كان كسر جمود الازمة ، ولذلك فانها (كانت حرب تحريك وليست حرب تحرير. اي ان الهدف السياسي المحدد فرض قيودا على القدرة العسكرية ومنعها من تحقيق انتصارات اكبر

---

[34] لينين والعلم العسكري مجموعة من الكتاب السوفييت – دار الفارابي ص 26 وراجع أيضا لينين عن النقابات - دار التقدم موسكو – ص 57 .

[35] لينين : نصوص حول المسائل العسكرية تعريب المقدم الهيثم الايوبي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ص 264 .

[36] الاستراتيجية الحربية – المرجع السابق – ص 250 ، 257 ، 38 على التوالي .

[37] الاستراتيجية الحربية – المرجع السابق – ص 250 ، 257 ، 38 على التوالي .

[38] الاستراتيجية الحربية – المرجع السابق – ص 250 ، 257 ، 38 على التوالي .

[39] الاستراتيجية الحربية – المرجع السابق – ص 250 ، 257 ، 38 على التوالي .

باتجاه التحرير الشامل)[40] . الا تكفي هذه الشهادة من الرجل الذي اوصلته خيمة الكيلو متر 101 لرئاسة اركان الجيش المصري الباسل ، لمعرفة طبيعة قيادة حرب تشرين وادانتها ؟

سابعا : ان كلام الرئيس المصري يتضمن ردا مفحما على ادعاء حواتمة بان الرئيس السادات اراد ان يكون بوضع تفاوضي أفضل . فلو كان هذا هو غرضه فقط لدمر المدن الاسرائيلية وسمح بسحق الجيش الاسرائيلي وواصل الهجوم ، مواصلة تجعل من الحرب جدية الى أبعد حدود الجدية . وقد يوقف اطلاق النار ولكن بعد ان يحقق انتصارا استراتيجيا كان بالامكان تحقيقه . فلماذا لم يفعل ؟ لانه اراد ان يظهر حسن نواياه ورغبته في العيش بسلام مع اسرائيل ، الى جانب تحسين وضعه التفاوضي من جهة ولان الغرض الاساسي من الحرب ، وهو تضليل الجماهير قد تحقق من جهة اخرى .

ثامنا : إن كلام الرئيس المصري لا يمكن الطعن به او التشكيك بصحته ، لانه موجه للاسرائيليين بغية اقناعهم لكي يثقوا به ، انه يضرب لهم امثلة بمنع تدمير المدن الاسرائيلية الكبرى والحيلولة دون ضرب الجيب الا سرائيلي وتصفيته ليمنع استمرار الحرب وينقل موضوع الجدل والبحث من موضوع استمرار الحرب حتى انسحاب اسرائيل الى موضوع فك الحصار عن الجيش الثالث لان ضرب الجيب الاسرائيلي وتصفيته لا تترك فرصة للمفاوضات المباشرة في خيمة الكيلو متر 101 وليس من مجال للشك على الاطلاق بصحة ما يقوله الرئيس المصري لانه كلام صحيح مئة بالمئة . والدليل على صحته انه موجه الى الاسرائيليين لكي يقتنعوا بحسن نواياه ، فاذا كانت امكانية تصفية الجيب مستحيلة فانه يكون مدعيا غير صادق ، وفي هذه الحالة فان الغرض من ضرب المثل وهو اقناع الاسرائيليين لا يعود واردا

ولا بد ان نأخذ قول الرئيس المصري : ان جنيف أحسن طريقة لاقناع الاسرائيليين .. اقول لا بد ان نأخذ هذا القول بمداه البعيد . لانه يكشف عن ان الرئيس المصري كان يفتش عن وسيلة لاقناع الاسرائيليين ، وليس لمحاربتهم . ان غايته كسب ثقتهم لكي يصدقوه ، ومن تكن هذه سياسته وغايته ، كيف يمكن ان يقود حربا قد تقضي على من يريد اقناعهم ، برغبته في العيش معهم بسلام تحت ظل « السلام العادل والدائم» ! .

تاسعا : ان القول بان اميركا « وعت بسرعة اثار حرب تشرين الاول » لا يمكن ان يصدقه انسان يعرف لماذا يحمل رأسه ذلك ان اميركا لا يمكن ان تغير سياستها بمثل السرعة التي يصورها الرئيس المصري والصحيح هو ان اميركا كانت مستعدة لان تلعب الدور الذي تلعبه الان ، ليس بسبب حرب تشرين كما يدعي الرئيس المصري وانما بسبب متابعتها للتطورات التي تجري داخل مصر بتوجيه من السعودية وهذه التطورات كانت احدى الاسباب الاساسية وراء مجيء كيسنجر لوزارة الخارجية الاميركية قبل الحرب ولربما كان مجيئه الى الخارجية احد الاسباب الكامنة وراء الحرب و على كل حال فإن السعودية قد شاركت في خطة الحرب وهذا يعني ان اميركا كانت على علم بالحرب أيضا ، لذلك فانها كانت على استعداد لان تتحرك في الاتجاه المرسوم من قبلها مسبقا. وقد اباح السادات بهذه الحقيقة لبعض الذين قابلوه من قادة المقاومة قبل وقوع الحرب بايام حين اشار الى انه يعتبر موافقة السعودية على الحرب تعني موافقة اميركا . وقد بينت خطة الحرب على هذا الاساس ، لذلك فان تصريح السادات عن عدم استعداده لمحاربة اميركا يلقي ضوءا على هذه الحقيقة الكامنة وراء حرب السادس من تشرين ! ..

انه لمثير للشبهات حقا ، هذا الاحترام الفائق الحد الذي يبديه ابطال التسوية السياسية ، لزعيمة الامبريالية العالمية ، اذ لم يحدث في تاريخ الامة العربية النضالي ، بل وفي تاريخ كل الشعوب المناضلة ان استقبل زعماء الامبريالية بغير النفايات تعبيرا عن سخط الشعوب وحقدها ، الا في بلدان « المفاوضات المباشرة » مع العدو الاسرائيلي ، حيث استقبل نيكسون بالورود والرياحين ، واصاغ السمع لايات الولاء والتبعية من حكام البلدان التي كانت قبل تزعمهم لها معاقل مناهضة للامبريالية ولعملائها في وطننا العربي الكبير !

واذا تجاوزنا الحماس الذي تبديه كل من مصر وسوريا لاستقبال مرشد مسيرتهما في المرحلة القادمة ، اعني رئيس زعيمة الامبريالية. العالمية (نيكسون) ، وتجاوزنا فصول الاشادة التي افاض بها الرئيس السوري ووقفنا قليلا امام بعض العبارات التي تفوه بها السيد خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري ، الذي كان يشيع عن نفسه بانه لن يلطخ يديه بالتوقيع على وثيقة خيانة الاعتراف باسرائيل ولن يترك ولده يرث وصمة عار كهذه من بعده ... اقول لو وقفنا امام بعض ما تفوه يه السيد خدام نفسه فسنطالع ما يلي :

ردا على اشادة (كيسنجر) بالقادة السوريين الذين تمكنوا بمساعدته من التحرر من المشاعر النفسية التي كانت

---

[40] مجلة البلاغ البيروتية العدد 142 في 30 – 9 – 1974 .

تحكم نظرتهم تجاه اسرائيل .. رد السيد خدام معربا (للرفيق الجديد) ! عن ارتياحه ، واصفا كلامه بانه (يعكس الصداقة الجديدة بين البلدين) سوريا واميركا التي (تلقى جهود وزير خارجيتها اكبر قسط من التقدير) ، لدى حكام سوريا ، لانه على حد ادعاء السيد خدام « اول مسؤول اميركي نسمع من شفتيه اللفظ الواضح لهدف سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط »[41] !

أهي الصدفة والمجاملات التي جعلت السيد خدام يمنح رسول الامبريالية والصهيونية « صك الغفران » هذا ، ام انه تكرار لقول الرئيس المصري (ان الصديق هنري يبعث على الثقة) ولكنه ، تكرار يعبر عن توافق المصالح الطبقية الذي جمع اهل النظامين في موقف واحد وجعلهم يتحدثون بلغة واحدة استحقوا عليها تكريما من قبل الامبريالية بلغت دفعته الاولى بضع مئات من ملايين الدولارات والحبل على الجرار وكل آت قريب !؟

ب – طابع حرب تشرين :

يقول لينين : (أن الحرب هي استمرار للسياسة ، ينبغي أن ندرس السياسة قبل الحرب ، السياسة التي تفضي . وافضت الى الحرب) [42] .
وبعبارة اخرى ان (الحرب امتداد لتلك السياسة التي ادارتها الطبقات المسيطرة على الاطراف المتحاربة قبل الحرب بمدة طويلة ، وذلك بوسائل العنف . والسلم هو امتداد لهذه السياسة نفسها ، مع تسجيل تلك التغييرات في النسب بين الاعداء ، التي احدثتها الاعمال القتالية)[43] .

طالعوا كلام لينين، وراجعوا سياسة حكام مصر وسوريا ، قبل الحرب وبعدها ، هل تجدون تغييرًا ؟ نعم هناك تغيير ، ولكن نحو الاسوأ ... نحو « التسوية السياسية الاستسسلامية» !فبدلا من ان تضع الحرب الرابعة حد التدهور الذي احدثته هزيمة حزيران ، وتحدث تغييرا لصالح القضية العربية والموقف العربي. . . بدلا من ذلك ، جاءت الحرب الرابعة لتدفع مسيرة الاستسلام خطوات الى الامام . كانوا قبل الحرب مترددين خائفين محجمين عن الدخول في مفاوضات مباشرة مع العدو الصهيوني ، فاصبحوا بعد الحرب جريئين مندفعين ، بدون خجل او خوف ، نحو اللقاء مع العدو والعيش بسلام معه .

لقد رسم مؤتمر الخرطوم بناء على اقترحات عبدالناصر ، امام الجماهير العربية ، اللاءات الثلاثة المشهورة : (لا اعتراف ولا مفاوضات ولا صلح) مع اسرائيل ؟ اين هذه اللاءات ؟ وهل بقي منها شيء ؟ أليس مؤتمر جنيف مبني على اساس الاعتراف باسرائيل والمفاوضات بغية الصلح وانهاء حالة الحرب معها لتحل محلها حالة حسن الجوار والتعايش بسلام و طمأنينة ؟

واذا ، كان الاعتراف خيانة والمفاوضات جريمة كما هي برأي الجماهير العربية الامر الذي جعل المجتمعين في الخرطوم يرفعون راية اللاءات الثلاثة . فكيف يصح اعتبار الحرب التي حققت لاسرائيل الاعتراف والمفاوضات المباشرة والصلح المهين حربا غير تضليلية ؟ اين هو المضمون الوطني لحرب السادس من تشرين ؟ ثم كيف يصح اعتبار حرب تشرين غير تضليلية في الوقت الذي نشأت المقاومة الفلسطينية ومارست نضالها وتحدد دورها وهدفها على اساس نقيض للسياسة المبنية على اساس القرار 242 التي اتبعتها الانظمة المستسلمة ؟

اذا كانت الحرب امتدادًا للسياسة ، واذا كانت الحرب جزءًا من الكل الذي هو السياسة ، واذا كانت هذه السياسة ، سياسة استسلامية فكيف يصح اعتبار الجزء الذي هو الحرب غير استسلامي طالما ان الكل الذي هو السياسة يعتبر استسلاميا ، بشهادة كل حيثيات وجود المقاومة الفلسطينية ، وبشهادة كل ادبيات الاحزاب الشيوعية العربية التي سبقت حرب تشرين ، وبشهادة موقف الجماهير العربيةووجهة نظرها ؟

يقول لينين: (اذا لم تدرسوا السياسة المطبقة منذ عشرات السنين من قبل مجموعتي الدول المتحاربة بشكل لا يبدو معه اي شيء في هذه السياسة صدفيا ، واذا لم تحذروا من المحاكمة بناء على امثلة منعزلة ، واذا لم تبينوا ما يربط هذه الحرب بالسياسة السابقة ، فانه من المؤكد انكم لم تفهموا شيئًا عن هذه الحرب !)[44] .

---

[41] جريدة النهار البيروتية العدد 12136 في 30 – 5 – 1974 .

[42] لينين : حول الوطن والوطنية – المرجع السابق – ص 101 .

[43] الستراتيجية الحربية – المرجع السابق – ص 252 .

[44] لينين : نصوص حول المسائل العسكرية – تعريب المقدم الهيثم الايوبي – دار الطليعة للطباعة والنشر – ص 268 .

فاذا انطلقنا من وجهة نظر لينين هذه وحددنا مضمون وطابع حرب تشرين من خلال دراستنا لطبيعة السياسة الاستسلامية التي اتبعها النظام المصري منذ هزيمة حزيران 1967 حتى الان ، فاي تقييم لحرب تشرين ينبغي ان يحدد ؟
واذا كانت وجهة نظر الماركسية – اللينينية ، تتطلب لتحديد طابع الحرب ، ان يحدد المضمون تكون السياسي للحرب نفسها ، واذا كانت معرفة هذا المضمون تقتضي معرفةالسياسة التي مثلت الحرب استمرارا لها بوسائل العنف ، واذا كان المضمون السياسي لحرب تشرين هو التسوية السياسية المبنية على اساس الاعتراف باسرائيل والتنازل عن فلسطين المغتصبة للحركة الصهيونية وهو الامر الذي يعادل « الخيانة » ان لم يكن هو « الخيانة » بعينها من وجهة نظر جماهيرنا العربية ، وهي وجهة نظر وطنية عميقة وتقدمية وعادلة ... نقول اذا كان هذا هو جوهر المسألة موضع البحث والمناقشة ، فهل يصح اعتبار

حرب تشرين حربا غير تضليلية وغير استسلامية ، وهي الحرب التي كرست السياسة الاستسلامية التي فرضتها هزيمة الخامس من حزيران ؟ .

على هذا السؤال يجيب السيد جواد بالتأكيد على ان حرب تشرين هي (حرب وطنية محدودة) كما مر معنا .

ان تحديد السيد جواد لطابع الحرب الرابعة على انه طابع وطني تقدمي هو تعبير موجز لوجهة النظر الداعية للخوض في التسوية على اساس الاعتراف باسرائيل والمشاركة بمؤتمر جنيف ، وهي وجهة نظر تلتقي مع حكام « اتفاقات فك الارتباط » وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل . ولعل اوضح الدعاة في هذا المجال هو نايف حواتمة الذي يستند اليه سعيد جواد كما يستند التلميذ الى استاذه في انتقاء العبارات الانشائية .
يقول حواتمة (ليست حرب اوكتوبر استسلامية كما يصفها اصحاب الجمل اللفظية الثورية ، ليست حرب اوكتوبر حرب التسليم لاسرائيل ، لكن حرب اوكتوبر هي حرب وطنية محدودة)[45] بحدود (التسوية السياسية التي عمل السادات من اجل الوصول اليها طيلة السنوات الماضية ، بالوسائل الدبلوماسية فلم تتمكن مدافع الدبلوماسية فلجأ الى المدافع المادية في محاولة لتعزيز موقعه التفاوضي من اجل انجاز هذه التسوية) [46]

فاذا كانت الحرب ليست سوى استمرارًا للسياسة التي تتبعها الطبقة السائدة التي تشن الحرب وتقودها وتقرر مصيرها ، واذا كانت سياسة هذه الطبقة ، هي سياسة استسلامية اساسها الاعتراف باسرائيل والارتماء باحضان الامبريالية الاميركية والتنازل عن فلسطين المغتصبة .
واذا كنا نعترف بان المعطيات الجديدة التى تولدت عن حرب اوكتوبر كان من المفترض توظيفها من اجل تطوير الصراع وتطوير الحرب وتحويلها الى حرب تحرير وطنية ، ولكن بدلا من توظيفها على هذا الطريق ، بادرت قيادة السادات الى توظيف هذه المعطيات الجديدة من اجل الوصول الى تسوية سياسية سريعة ارضيتها القرار رقم (242)[47] .

اقول اذا كنا نعترف بان (وقائع الحرب الاخيرة و مسيرتها - قد اكدت – بشكل قاطع ان استعدادات الجماهير العربية والفلسطينية العالية للعطاء ، وبرامج الثورة الفلسطينية للتحرر الكامل القائمة على أساس المراهنة على تحويل الحرب الوطنية الى حرب شعبية طويلة الامد . لا يمكن ان يغير شيئًا من طبيعة الحرب الوطنية التي تخوضها القيادات الوطنية لحركة التحرر العربية « الانظمة » بل حتى التأثير في حدودها واهدافها المحدودة)[48] .

و اذا كنا نؤكد على انه (بالرغم من قناعات الجماهير ونواياها ، واستعداداتها العالية للعطاء والقتال ، فان قيادة الحرب « المصرية بشكل خاص » هي التي قادت الحرب ، وحكمت وتحكمت في مسارها ، طبقا لما تعنيه طبيعتها الطبقية وبرامجها العسكرية والاقتصادية والسياسية ولا يزال دورها رئيسيا وحاسمًا في التعامل مع نتائجها و تحدياتها)[49] .

اذا كنا نعترف بكل هذا ونؤكد عليه، فكيف يصح من وجهة نظر الماركسية – اللينينية ،المدعومة بوقائع الاحداث وممارسات حكام اتفاقات فك الارتباط و تعاملهم مع قضايانا القومية التقدمية ... كيف يصح اعتبار حرب تشرين ليست حربًا استسلامية؟

---

[45] حواتمة – مجلة الحرية البيروتية العدد – 650 في 17 – 12 –1973 .

[46] حواتمة – مجلة الحرية البيروتية العدد – 650 في 17 – 12 – 1973 .

[47] حواتمة : المرجع السابق .

[48] جواد المرجع السابق ص 43

[49] جواد المرجع السابق ص 43

يقول لينين ان الماركسية (تتطلب ان توضع كل حرب موضع تحليل تاريخي يهدف الى تحديد ما اذا كان في المستطاع اعتبار هذه الحرب تقدمية متفقة ومصالح الديمقراطية أو مصالح البروليتاريا ومشروعة وعادلة بهذا المعنى) [50] .

فهل ان الاهداف التي سعت حرب تشرين لتحقيقها متفقة ومصالح الجماهير عامة و البروليتاريا خاصة ؟

واذا كانت سياسة الذين قادوا الحرب معادية للجماهير ، و اذا كانت للحرب جزء من كل ، وان هذا الكل هو السياسة ، فكيف يصح اعتبار حرب اكتوبر ليست حربا تضليلية استسلامية؟

لعلي اقول والالم يعتصرني مثلما يعتصر كل انسان عربي يشعر بتطاول الذين يستهترون بكل القيم العربية والاعتبارات الوطنية والقومية ويحولون صراعنا مع العدو الصهيوني الامبريالي الرجعي الى مساومة رخيصة ذليلة تستهين بكل طاقات جماهير الامة العربية واستعدادها لصنع البطولات واختراع المعجزات ، استهانة تظهر شعبنا امام شعوب الامم الاخرى وثوارنا على غير حقيقتهم ، تظهره شعبا لا يعرف كيف يصارع الإستعمار و الصهيونية وعملاءهما ولا يقوى على مجابهتهما ، شعبا لا يتقن اساليب التعامل مع الخصم الصهيوني - الامبريالي ولا يعرف كيف يصنع النصر ، شعبا يسعى الى الركوع على اعتاب الامبريالية وتقبيل اقدامها لتغفر له هفوات تحدياته لها على امتداد ربع القرن الاخير .. لعلي اقول ان حرب تشرين لم تكن حرب الارادة العربية وانما هي حرب الذين قفزوا الى كراسي المسؤولية محمولين على فوهات مدافع الدبابات التي ادخلتهم الى قصور الزعامة والتحكم بمصير هذه الامة دون استحقاق وجدارة !

ان حرب تشرين لم تكن تستهدف تحرير الارض بالاعتماد على ارادة المقاتل العربي واستعداده لصنع النصر ، بقدر ما استهدفت تحطيم صمود «لا» الرفض والاستسلام واحلال «نعم» المفاوضات المباشرة مع العدو الصهيوني و الارتماء باحضان الامبريالية محلها !

ان لاءات الرفض للصلح والمفاوضات والاعتراف حطمتها حرب تشرين لتحل محلها «نعم » خيمة الكيلو متر 101 و «مؤتمرالسلام في جنيف » و « اتفاقات الفصل بين القوات » احلالا فتح المجال واسعا امام كيسنجر الصهيوني الامبريالي ليرسم خارطة تقرير مصير منطقتنا بما يضمن للامبريالية الاميركية أحكام سيطرتها على مقدراتنا وربطنا بنير التبعية لها والسير بركابها .

ان حربا هذه هي مضامينها واهدافها ، هل تستحق المواصفات التي يغدقها عليها حواتمة وجواد بغير حساب ؟

ان استخدام المعيار اللينيني لتحديد ماهية حرب تشرين ، ومن منطلق رفض التسوية باعتبارها صفقة مقايضة بين الامبريالية وحلفائها الجدد على حساب الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية بل وعلى حساب نضال جماهيرنا العربية اذ انها سوف تفتقد ابرز عوامل التحريك والتحريض الثوري الذي كان محور الاحداث الثورية على امتداد العقود الثلاث الماضية...
اقول ان استخدام المعيار اللينيني لتحديد ماهية الحرب الرابعة التي هي امتداد للسياسة الاستسلامية التي يتبعها النظام المصري والسائرون على خطاه يؤكد على ان طابع هذه الحرب لابد ان يكون طابعا استسلاميا ، بحكم كون التسوية السياسية الاستسلامية كانت الهدف المباشر للحرب . ومن وجهة نظرنا ان التسوية التي عبرت عنها مفاوضات الكيلو متر 101 واتفاقات فك الإرتباط بين كل من مصر وسوريا من جهة

وبين اسرائيل من جهة اخرى ، وكون هذه التسوية تستند الى تدخل اميركا المباشر والفعال ، والى القرار 242 ، فانها تسوية تخدم مصالح الامبريالية الاميركية والصهيونية واليمين الرجعي عامة وفي كل من مصر والسعودية خاصة ، اما مشاركة الثوريين العرب في الحرب فقد مثلت العنصر الثانوي فيها كما سبقت الاشارة آليه انفا .

لقد استغل اليمينيون والرجعيون العملاء الاسباب الداعية لاستمرار الحرب ضد اسرائيل و هي اسباب وطنية وتقدمية وعادلة ،استغلالا تمكنوا معه ان يشنوا حربا في السادس من تشرين ، ليس من اجل تحقيق الاهداف التي جعلت اسباب استمرار حربنا ضد اسرائيل اسبابا وطنية و تقدمية وعادلة وانما من اجل اهداف ومرامي تلتقي مع اهداف العدو الصهيوني – الامبريالي ومراميه وتتعارض كلية مع مشاعر جماهيرنا القومية وقناعاتها الوطنية المشروعة و العادلة .

---

[50] لينين : نصوص حول الوطن والوطنية - المرجع السابق - ص 100

ان التاريخ لم يشهد « الا نوعين من الحروب ، هما : حرب عادلة وحرب غير عادلة ، ونحن نؤيد الحرب العادلة ونعارض الحروب غير العادلة ، وكل الحروب المعادية للثورة هي غير عادلة ، وكل الحروب الثورية هي عادلة »[51]

بعد كل ما تقدم ، هل يصح القول بان حرب السادس من تشرين ، هي حرب ليست استسلامية ، ويكون الذين يضعونها بحجمها الحقيقي باعتبار انها حرب « من اجل التسوية الاستسلامية و تكريس سلطة اليمين الرجعي في مصر » متهمين بعدم العلمية والموضوعية و يوصون بانهم اصحاب جمل لفظية ثورية .
ان حرب تشرين امتداد واستمرار للسياسة الاستسلامية التي يتبعها النظام المصري السائر بكل قواه بركب السياسة الاميركية ليس بالنسبة لمصر وحدها وانما بالنسبة لعموم المنطقة العربية ؟

ان كلام حواتمة وجواد ، ليس دفاعها عن مضمون حرب تشرين ، وطابعها العام ، بقدر ما هو محاولة لتصوير الاستسلام على انه وطنية ، والانحراف عن النهج الوطني الثوري على انه تقدمية والارتماء باحضان الامبريالية على انه تعامل مع الواقع وتعايش معه ! فليس من المعقول ان يكون امين عام الجبهة الديمقراطية والسيد جواد يجهلان ان لينين يحدد طابع الحرب بقوله انه يتوقف على معرفة «اية طبقة تشن الحرب ، ما هي السيتسة التي تكون الحرب امتدادا لها » .

ان طابع الحرب لا يحدد اعتباطا ، وانما يحدده مضمون الحرب نفسها ، وطالما ان النظام المصري وهو المؤسسة السياسة التي حددت اهداف الحرب ومضمونها ، لتشكل امتدادا واستمرارا لسياستها ذات المضمون الاستسلامي هو الذي قاد هذا الحرب ، فان طابع حرب تشرين يحدده بصورة موضوعية مضمون نشاط هذا النظام اليميني والاهداف التي يريد تحقيقها من وراء هذه الحرب ، وبما ان الطبقة صاحبة النظام هي طبقة يمينية رجعية ترى في التحالف مع الامبريالية والرجعية وفي نهاية المطاف مع الصهيونية ضمانا لمصالحها فان حرب تشرين هي استمرار لجمل السياسة الاستسلامية التي يتبعها السادات وسائر اهل النظام المصري والانظمة السائرة بركابه .

ان الغريب في منطق السيدين حواتمة وجواد هو انهما يعترفان بان حرب تشرين استهدفت تحقيق التسوية السياسية ، واراد لها السادات اصلا ان تؤدي الى هذه النتيجة ليكون في موقع تفاوضي افضل من اجل الوصول الى التسوية السياسية التي عمل السادات من اجل الوصول اليها طيلة السنوات الماضية ، بالوسائل الدبلوماسية ، فلم تتمكن مدافع الدبلوماسية ان تنجز له هذه التسوية فلجأ الى المدافع المادية في محاولة لتعزيز موقعه التفاوضي من أجل انجاز التسوية .

« وبالرغم من الثقل العسكري والاقتصادي لمساهمة سوريا والعراق في الحرب فقد ظلت اسيرة برنامج قيادتها المصرية طيلة الثمانية عشر يوما ، بل ان القيادة المصرية سارعت الى قطع الطريق على المحاولات الجدية السورية – العراقية لزيادة الوزن العسكري للقيادة العراقية – السورية وفاعليتها »[52] .

فاذا كانت قيادة السادات ، قد اتخذت من الحرب وسيلة لتحقيق التسوية الاستسلامية، وليس من اجل فرض الارادة العربية على المستعمر الصهيوني ، واذا كانت القوى الثورية الفلسطينية والعربية ، قد حاولت تطوير الحرب وتحويلها الى حرب تحرير وطنية ، بيد أن مبادرة قيادة السادات التي يصفها السيدان حواتمة وجواد بانها « قيادة وطنية ! » قد احبطت محاولة القوى الثورية ، وحالت دون تطوير الحرب ، واذا كان دافع هذه القيادة هو حرصها ، أو على حد تعبير السادات نفسه تعهده بتوفير سلام حقيقي دائم ومشرف تحيا في ظله اسرائيل و مصر وكل السائرين في طريق الاستسلام بحياة هانئة رغدة ... نقول اذا كان الامر كذلك فكيف يصح الادعاء بان هذه الحرب ليست استسلامية، وان قيادتها وطنية ؟

ثم اذا كانت التسوية هي الهدف الذى كاتنت حرب تشرين ترمي الى تحقيقه ومع ذلك فهي حرب ليست استسلامية، فكيف نقيم سياسة المقاومة وموقفها الرافض للتسوية منذ وجدت حتى ما قبل حرب تشرين ، هل كانت سياستها وموقفها غير وطنيين ... ؟ طالما انها كانت تعتبر التسوية التى استهدفت تحقيقها حرب تشرين مؤامرة اميركية على القضية الفلسطينية ؟

إذا اخذنا ما يقوله السيدان حواتمة وجواد عن حرب تشرين وعن قيادتها ، على انه حقيقة مسلم بها ، حقيقة اخيرة ونهائية ، فلا بد ان تكون السياسة التي اتبعتها المقاومة منذ نشوئها ، وموقفها الرافض للتسوية غير وطنيين وغير تقدميين ، فهل يصح هذا ؟

---

[51] ماوتسي توتغ – قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية المجلد الاول – ص 268 .

[52] جواد المرجع السابق

واذا كانت حرب تشرين هي حرب تحريك وضغط ومساومة من اجل تحقيق التسوية السياسية ، واذا كان موقف السعودية واستخدامها لسلاح النفط كان ابرز عوامل هذا التحريك والضغط والمساومة و السياسية ، افلا يعني كلام السيدان حواتمة وجواد ان موقف السعودية هو الاخر وطنيا ايضا لانه على صعيد النتائج التي تحققت والتي ستتحقق يحتل مكان الصدارة والاولوية على حرب تشرين نفسها ، رغم انها هي التي اتاحت للسعودية لان تلعب مثل هذا الدور ؟ ورب قائل يقول بان مشاركة القوى الرجعية في الحروب الوطنية ، امر قد يحدث احيانا ، اذ في ظل ظروف معينة وتحت ضغط الجماهير قد تضطر هذه القوى للمشاركة ... قد يقال مثل هذا القول ، بيد ان مثل هذه المشاركة لا تحدث الا في حال ان تكون القوى القائدة للحرب قوى ثورية الامر الذي يجعل موقف القوى الرجعية في منتهى الحراجة فتضطر للمشاركة ، كما حدث في حرب عام 1956 يوم وقفت الانظمة الرجعية العميلة في باديء الامر ، موقفها امام ضغط الحركة الجماهيرية كما حدث لحكومة نوري السعيد في العراق، من جهة ، غير أنه في ظل ظروف كهذه، فان المشاركة ستكون شكلية بحكم كونها لم تأت عن قناعة ، بينما نرى السعوديين اليوم لا يقلون حماسا عن المصريين في تحقيق التسوية السياسية ، ويكفينا للتدليل على صحة هذا الكلام ان نشير الى تصريح الرئيس السادات حين قال « ان الملك فيصل هو بطل معركة العبور وسيحتل الصفحات الاولى في تاريخ جهاد العرب و تحولهم من الجمود الى الحركة ومن الانتصار الى الهجوم وهو صاحب الفضل الاول في معركة النفط

وهو الذي تقدم الصفوف واصر على استعمال هذا السلاح الخطير وفتح خزائن بلاده لمصر لتأخذ منها ما تشاء للصرف على معركة العبور ، بل لقد اصدر امره الى ثلاثة من اكبر بنوك العالم ان من حق مصر ان تسحب ما تشاء وبلا حدود كل ما تحتاجه من اموال للمعركة »[53] من جهة ثانية ، لقد فتح فيصل ثلاثة بنوك من اكبر بنوك العالم أمام الطبقة الحاكمة في مصر ، وعلى الذين يريدون ان يحتفظوا بمصر ضمن معسكرهم ، ان يكونوا رجعيين اكثر من حكام السعودية وان يكونوا اغنى منهم ايضا لكي يفتحوا لحكام مصر اكثر من ثلاثة بنوك ، وساعتها يصبح بامكانهم كسب هذه المراهنة الساذجة والا فانهم مهما ابتذلوا قواعد العمل الثوري ارضاء لليمين المصري فانهم لن يفلحوا ، الا اذا ارتضوا لان يكونوا للرجعيين كظلهم من جهة ثالثة !

يقول نايف حواتمة : « ... اننا ندرك ان الصنارة الاميركية قد شبكت بالحوت المصري في هزيمة حزيران 1967 ، وتريد اخراج هذا الحوت الى احضان الامبريالية الاميركية لاخراج مصر من المنطقة العربية ، ولتصبح منطقة الشرق الاوسط منطقة شبه مفتوحة امام العدوانية الاسرائيلية و الامبريالية فمصر ثلث الامة العربية ولها ميزان ثقل في هذه المنطقة وعلينا ان نناضل من اجل الاحتفاظ بمصر داخل اطار القوى المناهضة للحلول الثنائية و الاستسلامية »[54] !!

يقول لينين : « ان البرجوازية الصغيرة ، تحلم بتخفيف التناقضات وتتلهى بالثرثرة متذرعة « بحجة » ان تفاقهما يسفر عن « عواقب وخيمة »[55] .

- نظرتان متباينتان الى معطيات حرب تشرين :

ضمن سياق ما تقدم تعرضنا لمعطيات حرب تشرين السلبية التي شكلت مضمون الحرب والتي بالاستناد اليها حددنا طابع الحرب بانه استسلامي اتخذ من ايجابيات الحرب ستارا لتمويه حقيقته . ولم يبق لنا في ختام مناقشتنا لموضوع الحرب الرابعة سوى أن نقف أمام معطياتها الايجابية .

يقول السيد جواد ، تعليقا على اشارة الرفيق حبش الى بعض معطيات حرب تشرين الايجابية المتعلقة بتعزيز قناعة جماهيرنا العربية بقدرتها على التصدي لاسرائيل ومواصلة الحرب ضدها حتى يتحقق الانتصار الكامل ... يقول السيد جواد تعليقا على ذلك : « ان ما يهم حركة التحرير الفلسطينية واية حركة وطنية ديمقراطية ثورية وهي بصدد تحديد طبيعة مرحلة معينة تمر بها وصياغة مهماتها الكفاحية ، على ضوء معطيات الواقع كمعطيات تشرين ، هو ان تحدد بالضبط : الحقائق والوقائع العسكرية والسياسية والاقتصادية في قوى وجبهات المواجهة العربية - الاسرائيلية - الامبريالية ، وقوى ومؤشرات الصراع والواقع الدولي وما تحتله فعلا من قوى فاعلة ومؤثرة بشكل مباشر في معضلات الصراع المباشر »[56] .

---

[53] جريدة النداء البيروتية العدد 4608 في 2 – 3 – 1974 .

[54] مجلة الحرية البيروتية العدد .650 في 17 – 12 – 1973 .

[55] لينين : افلاس الاممية الثانية – دار التقدم موسكو – ص 32 .

[56] جواد : المرجع السابق ص 41 .

ان هذه الامور البديهية يدرجها سعيد جواد لتحمل ضمنا تسفيها لمعنى اشارة الرفيق جورج حبش الى معطيات حرب تشرين الايجابية والى كيفية استخدام هذه المعطيات من قبل حركة المقاومة الفلسطينية وسائر فصائل حركة التحرر الوطني العربية الثورية حقا .

فهو ، أي جواد ، حين يفرغ من خطف جملة او جملتين من العرض الذي قدمه الرفيق حبش والذي استغرق عشر صفحات كاملة ، يعلق قائلا : « هذه التساؤلات المهمة جدا والمؤشرات التي ظهرت فعلا خلال الحرب وبعدها ، هل يكفي الوقوف عندها بهذه الصيغ العمومية ؟»[57] ، لكي يوحى للقارىء مسبقا بان المسؤول الاول للجبهة الشعبية وبالتالي الجبهة الشعبية نفسها لا تملك غير (الصيغ العمومية) في مواجهة معطيات حرب تشرين والتحديات التي طرحتها ، في وقت يتطلب الامر فيه تحديدا واضحا المرحلة الراهنة والقادمة، أي لمرحلتي تطبيق التسوية والمرحلة التي تليها والتي يمكن ان نطلق عليها منذ الان مرحلة الاستسلام للامبريالية الاميركية والدوران في فلكها .

ان الرفيق حبش انطلق في عرضه لمعطيات حرب تشرين الايجابية من فهمه لكيفية مواجهة التسوية وبذل الجهود
ان الرفيق حبش انطلق في عرضه لمعطيات حرب تشرين الايجابية من فهمه لكيفية مواجهة التسوية و بذل الجهود في سبيل عرقلتها لاطول فترة ممكنة ، وبذلك نحقق غرضين اثنين في آن معا : نطيل أمد تحقيق التسوية من موقع الهجوم على دعاتها وتعريتهم أمام جماهيرنا بغية الحد من اندفاعهم كما فعلنا في المرحلة السابقة لحرب تشرين ، وبذلك نجرد التسوية من الشرعية التي تبذل اميركا واسرائيل والرجعية العربية وسائر ابطال الاستسلام جهودا مضنية من اجل اضفائها على التسوية – المؤامرة التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية برمتها اولا وتجنيد جماهيرنا وتعبئتها ضمن نطاق وافق استمرار الثورة ، التي ينبغي ان تواصل رفع راية العنف الثوري بوجه العنف الرجعي – الامبريالي – الصهيوني الذي سنواجه به بعد تحقيق التسوية ثانيا .

هذا البرنامج النضالي الذي يشير اليه الرفيق جورج حبش ، يعتمد اساسا ويستند « الى مستوى استعدادات جماهيرنا من المغرب حتى شرق الجزيرة العربية ، استعداداتها العالية جدا للعطاء من اجل تحقيق هذين الهدفين[58] . من

هذا المنطق يستطيع من يطالع وجهتي النظر ان يلمس الاستسلام والتبعية والذيلية والنفس القصير والهروب من تحمل تبعات النضال الثوري متجسمة بكل معانيها في وجهة النظر التي جند السيد سعيد جواد نفسه لخدمتها ، مقابل الاخلاص والاستعداد للتضحية والنفس الطويل ومواجهة تحديات المرحلة الجديدة بالاستناد الى ارادة الجماهير واستعدادها لخوض النضال الثوري بغية تحقيق الاهداف التي تطمح لها .

ان الرفيق حبش لم يتحدث بصيغ عمومية ، وانما اشار الى برنامج نضالي ثوري مدعم بوقائع التاريخ المستمدة من نضال شعبنا ، هذا النضال الذي لم يتذكره السيد جواد وهو يحاول طمس الموقف الثوري الذي عبر عنه الرفيق حبش . نعم ان السيد جواد شغل 26 صفحة من صفحات العدد 33 من مجلة شؤون فلسطينية دون ان يتذكر نضال شعبنا ولو على سبيل الاستشهاد بمثل واحد لتدعيم وجهة نظره ، وفي هذا دليل كاف على انه يهرب من حقيقة ليس بوسعه طمسها . أليس لهذه الديمقراطية الثورية التي يتحدث عنها النضال و النتائج التي حققتها لكي نقتنع بانه يستند في توجيهاته لنا الى وقائع ملموسة تؤكد صحة تخرصاته التي لا تستند الى النهج الماركسي – اللينيني الثوري ؟

هل في هذا الكلام تجن على السيد جواد ومنهم على شاكلته ؟ لنطالع كلام الرفيق جورج حبش وكلام السيد جواد ولنتعرف على نظرة كل منهما الى الجماهير :

يقول الرفيق جورج حبش :

(حرب تشرين ولدت قناعات جديدة في صفوف جماهيرنا الفلسطينية وفي صفوف جماهيرنا العربية)[59]

---

[57] جواد – المرجع السابق .

[58] جورج حبش – شؤون فلسطينية العدد 30 ص 16

[59] حبش – المرجع السابق ص 16

وهذه القناعات الجديدة تجلت في (مستوى استعدادات جماهيرنا من المغرب حتى شرق الجزيرة العربية ، استعداداتها العالية جدا للعطاء من اجل هذ الهدف ، هدف تحرير جزء من الارض العربية ، هدف تحرير فلسطين ، استعداداتها الكبيرة للعطاء و لكل انواع العطاء من الضروري ان تبقى هذه الامور في اذهاننا بغض النظر عن صعوبة الوضع السياسي الجديد علينا الذي نشهده فعلا بعد سعد حرب تشرين .

واعتقد ان من واجبنا جميعا ان نبرز هذه الحقائق اذا كانت لدينا القناعة بانها حقائق حقيقية وموضوعية . طبعا لا يجوز ان نعود الى اي حالة معاكسة وبالتالي نعود الى تصور وهمي من خلاله نستخف بالعدو والتحالف المعادي الاسرائيلي – الصهيوني – الامبريالي – الرجعي وقدراته . لكن في تقديري يمكن لحرب تشرين اذا عمل المفكرون والكتاب والتنظيمات الثورية العربية على وضع نتائجها امام الجماهير العربية ان نتصور على ضوئها معاييرها ، وان نحدد المواقف السليمة تجاهها ... لاحظوا ... انني اردت عن عمد ان اتحدث باللغة التي يمكن ان تكون مشتركة ومفهومة من قبل الرفاق . انا لم اتحدث – على سبيل المثال – عن اهمية و قناعتي باهمية وقدسية موقف الرفض الذي وقفته جماهيرنا الفلسطينية من المشروع الصهيوني منذ وعد بلفور حتى الان ... انا اعتقد ان هذا البناء السياسي للشعب الفلسطيني ، كان له تأثير كبير في سير كل الاحداث في المنطقة باتجاه خدمة اهداف الجماهير ، لكن الان في ظل كل الوضع الجديد المطوح ، يجب ان نبدأ بالتعلم من تجاربنا .

عندما نستعرض فعلا كل تاريخنا النضالي ، بقدر ما فيه من سلبيات يجب ان نستخرجها ، نحدد هل موقف الرفض الجذري الذي وقفته جماهيرنا موقف سليم ام لا ؟ ... كلنا نعرف كيف كانت تنظر الجماهير الفلسطينية والعربية الى اي محاولة تفاوض أو جلوس ما بين حاكم عربي وحاكم اسرائيلي . . .
كلنا نعرف جيدا أن اقل عبارة كانت تقولها جماهيرنا هي ان هذا خيانة في الواقع ، لنفكر في هذا الموضوع جيدا ، لمصلحة موضوع صراعنا وتفجير طاقات جماهيرنا الفلسطينية والعربية ، هل من مصلحتنا تبهيت هذا الرفض ام من مصلحتها اعتباراي تفكير من هذا النوع ، فعلا على صعيد الخيانة ؟[60] .

ومن منطلق الاعتماد على استعداد الجماهير للتضحية ، ومن موقع الادلة الحسية المستمدة من تاريخنا النضالي الثوري يؤكد الرفيق حبش على ضرورة رفض مؤتمر جنيف بالاستناد الى قدرة. المقاومة على ممارسة دورها الثوري في ظل الظروف الراهنة . وفي معرض دحضة لوجهة النظر التي تتستر وراء عدم توجيه دعوة رسمية للمقاومة للمشاركة في مؤتمر جنيف ، تسترا تقول معه بعدم ضرورة تحديد موقف رافض من هذا المؤتمر . يقول الرفيق حبش : (صحيح ان الامر ليس مطروحا الان ، ولكن هل نقول : بما انه لم توجه رسالة ، وبما ان الامر غير مطروح الان ، فاننا لسنا مطالبين باعطاء جواب على الموضوع . كلنا نعرف محاولات مصر الجادة والمتصلة حتى تكون المقاومة طرفا في هذا الموضوع ، وطبعا ، عندي اجتهاد معين ، انها تريد المقاومة طرفا لتغطية معنى الجلوس مع العدو الصهيوني ، لان حركة المقاومة الفلسطينية حركة ثورية ،
اعادت فعلا للجماهير الفلسطينية وللجماهر العربية كرامتها في التفاف جماهيري وبالتالي اذا حضرت حركة المقاومة الى جنيف، فان هذا يساعد السادات الى حد كبير على الخروج من حالة الاحراج التي يمثلها التنازل الكبير وعنوان المفاوضات المباشرة ما بين الطرف العربي والطرف الصهيوني)[61] .

ان هذه الصيغة التي تملأ ذهن الرفيق حبش ليست صيغة عمومية كما يدعي اللينيني الذي يتجاهل لينين ، لان موقف الشعب الفلسطيني المناهض للصهيونية والامبريالية والرجعية ، والرافض للاستسلام هو الذي لعب الدور الحاسم ليس في ابقاء القضية الفلسطينية حية الى حد هذه الساعة ، فحسب ، وانما هو جعل منها العامل الثوري الذي يحرك اوضاع المنطقة كلها ، ولو كان الشعب الفلسطيني قد اتبع النهج الذيلي الذي يدعو اليه دعاة « الواقعية » لضاعت القضية برمتها منذ زمن بيعد ، ولكن السيد جواد لا يرى مثل هذه الامكانية ، ف (المسألة هي – ليست – مسألة استعدادات وقناعات)[62] لدى الجماهير ، وانما هي برأيه مسألة طيارات ودبابات وصواريخ عابرة القارات لان (وقائع الحرب الاخيرة ومسيرتها – قد اكدت - بشكل قاطع ، ان استعدادات الجماهير العربية والفلسطينية العالية للعطاء ، وبرامج الثورة الفلسطينية للتحرير الكامل القائمة على اساس المراهنة على تحويل الحرب الوطنية الى حرب تحرير شعبية طويلة الامد ، لا يمكن ان تغير شيئا من طبيعة الحرب الوطنية لحركة التحرر العربية – الانظمة – بل حتى التأثير في حدودها واهدافها المحدودة ... وبالرغم من قناعات الجماهير ونواياها ، واستعداداتها العالية للعطاء والقتال ، فان قيادة الحرب – المصرية بشكل خاص - هي التي قادت الحرب ، وحكمت

---

[60] حبش : المرجع السابق ص 16

[61] حبش : المرجع السابق ص 43

[62] جواد : الرجع السابق ص 42

وتحكمت في مسارها ، طبقا لما تعنيه طبيعتها الطبقية وبرامجها العسكرية والاقتصادية والسياسية ، ولا يزال دورها رئيسيا وحاسما في التعامل مع نتائجها وتحدياتها[63] .

يلاحظ القارىء ، كم هو كبير الفرق بين ايمان الرفيق حبش . بالجماهير وبدورها في النضال ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية ، وبين استصغار السيد جواد لدور الجماهير ولاستعدادها الذي لا فعل له اكثر من السير بذيل الانظمة التي يقول انها قيادة حركة التحرر العربية . وبعد المقارنة بين

النظرتين ، لنا ان نتساءل :

هل يصح تقدير دور الجماهير والحكم على فاعليتها وقدرتها بمقياس فاعلية دور الانظمة ؟

ان اعتبار هذا المقياس سليم وصحيح من وجهة نظر الماركسية_اللينينية ، سوف يعني ان موقف لينين واختلافه مع ابطال الاممية الثانية كان خاطئا . فاذا ما حاكمنا دور الجماهير ومدى فاعليتها على اساس امكانيات وقدرات الانظمة التي تمتلك الطائرات والدبابات وغيرها من الاسلحة الثقيلة والخفيفة التي تستعمل في الحرب النظامية عادة ... اذا ما حاكمنا دور الجماهير وفاعليتها وفقا لهذا المقاس الذي يحدده السيد جواد ، فان موقف لينين ضد احزاب الاممية الثانية سيكون موقفا خاطئًا وسيكون موقف كاوتسكي هو الموقف الصائب ،ذلك ان لينين عندما دعا الى استغلال الحرب والازمة التي تنجم عنها (بغية « تعجيل سقوط الرأسمالية » اي استغلال المصاعب التي تفرضها الحرب على الحكومات وكذلك غضب الجماهير ، من اجل الثورة الاشتراكية) [64] ... اقول عندما دعا لينين الى اتباع هذا النهج لم يكن يعتمد على غير ارادة الجماهير التي تتجسد في ظاهرة الاستعداد للبذل والعطاء .
لم يتأكد خطأ موقف ابطال الاممية الثانية الذي يستصغر استعداد الجماهير ودورها كما يستصغره السيد جواد وسائر دعاة النضال (على اساس ما هو مشترك مع)[65] الانظمة المتهالكة على التحالف مع اميركا والذي كان يحاكم الامور بذات المقياس الذي يعبر عنه السيد جواد بقوله (وبالرغم من قناعات الجماهير ونواياها واستعداداتها العالية للعطاء والقتال ، فان قيادة الحرب – المصرية – بشكل خاص – هي التي قادت الحرب وحكمت وتحكمت في مسارها) ... اقول الم يتأكد خطأ موقف ابطال الاممية الثانية الذي لم يبن على اساس استعداد الجماهير وانما بني على أساس دور الانظمة في الحرب النظامية، ألم يكل نهج لينين الذي اعتمد على استعداد الجماهير التي يضعها السيد جواد موضع استصغار وسخرية حين يعجز عن كبت اعجابه بالدور الذي يقوم به ابطال التحالف مع اميركا وفتح الابواب مشرعة لها لتعود من جديد للسيطرة على المنطقة بأسرها ، بعد ان كاد نفوذها ينحسر ... نقول ألم يكل نهج لينين بانتصار الاشتراكية بقيام ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى، في حين ان احزاب الاممية الثانية انتهت على يد ابطالها الى ان تكرس ذيليتها للبرجوازية منذ ذلك اليوم حتى هذه الساعة ؟

ثم من قال للسيد جواد ان الجماهير العربية والفلسطينية قد بنت برنامجها « على أساس المراهنة على تحويل الحرب الوطنية الى حرب شعبية طويلة الامد » ؟

ان حرب تشرين هي حرب الانظمة المستسلمة اتخذتها وسيلة لذر رماد التضليل بعيون الجماهير لكي تمرر مؤامرة التنازل عن فلسطين على اساس شعار ازالة اثار العدوان ، ولذلك فان الذين رفعوا شعار تحويل حرب تشرين الى حرب تحرير وطنية - ، وليست حرب شعبيةكما يتطفل السيد جوادعلى مفاهيم الحروب - ، كانوا يعلمون جيدا بانهم يرفعونه ليس لانهم كانوا يرون امكانية تحقيقه ، بل ان بعضهم رفعه من اجل تعبئة الجماهير باتجاه تحويل الحرب الرابعة الى حرب تحرير وطنية ، بينما بعضهمالاخر رفعه لكي يتخذ من عدم تحقيقه ذريعة لرفع شعار السير بركاب المستسلمين حلفاء اميركا الجدد ، بدليل الحماس الذي يبديه السيد جواد واعتراف السيد نايف حواتمة التالي :

« قبل حرب تشرين عندما وصل الى علمنا بان هناك حرب محدودة ستخاض استجابة لمجموعة من العوامل الداخلية في هذه الاقطار ولضغوطات عديدة خارج هذه الاقطار ، حربا محدودة ، تدوم لعدة ايام ، مصحوبة بضغط النفط ، يعقبها وقف اطلاق النار ، ثم الجلوس على مائدة المفاوضات ، نحن علمنا بهذه الحرب قبل وقوعها بعشرة ايام ، وجرى نقاش واسع داخل

---

63 جواد المرجع السابق ص 43 ٠

64 لينين : الاشتراكية و الحرب – اصدار موسكو ص 20

65 جواد : المرجع السابق .

صفوفنا وصفوف قيادات الثورة الفلسطينية ، وكان رأينا فادحة وقد تقود الى نتائج عسكرية افدح ، لان طبيعة الاوضاع ليست مؤهلة لتطويرها الى حرب تحرير وطنية ناهيك عن حرب التحرير الشعبية » .

ان رفع شعار تحويل الحرب الرابعة الى حرب تحرير وطنية بني على اساس احتمال عدم قدرة قيادة الحرب التي هي الانظمة المسيطرة عليها ، الامر الذي يفتح ابواب امكانية تطويرها الى حرب تحرير وطنية ، وهو احتمال ضئيل لدرجة لا تسمح بالاعتماد عليه في تحقيق حدث كبير كحدث تحويل الحرب ال عكس طبيعتها .

الفصل الثاني

الكاوتسكيون العرب والثورة
الوطنية الدمقراطية العربية

- ارتباط الثورة الوطنية الديمقراطية بالثورة الاشتراكية .
- حلفاء الامبريالية ليسوا وطنيين وليسوا قيادة لحركة التحرر الوطني .
- الاستخفاف بدور الجماهير تعبير عن النهج الاصلاحي والذيلية للبرجوازية .
- اين ينبغي أن تتربى الجماهير : أفي النضالات الاصلاحية ، ام في الانتفاضة المسحلة ؟.
- الكاوتسكيون والثورة الوطنية الديمقراطية .
- الكاوتسكيون العرب والنظرية اللينينية عن تحول الثورة الوطنية الديمقراطية للاشتراكية .
- لا يمكن تحول الثورة الوطنية الدمقراطية الى الاشتراكية بدون توفر القيادة الاشتراكية البروليتارية .

ارتباط الثورة الوطنية الديمقراطية
بالثورة الاشتراكية

1- يقول كارل ماركس في مقدمة كتابه « راس المال » :

« ان البلد الاكثر تطورا في الصناعة من شأنه ان يبين لتلك البلاد التي تتبعه على صعيد الصناعة مستقبلها الخاص »[66]

وقد وجد استنتاج ماركس هذا طريقه الى التحقيق اذ تبينت للولايات المتحدة الاميركية التي كانت « من الوجهة الاقتصادية لا تزيد عن كونها مستعمرة لاوروبا »[67] وللعديد من البلدان الاوروبية التي كانت تلي انكلترا في سلم التطور الصناعي، صورة مستقبلها الصناعي ، فسارت باتجاهها ، سيرا اضطرت معه انكلترا وهي التي كانت في اواسط القرن التاسع عشر ، تقوم بدور « مصنع العالم » الذي يصدر المنتوجات الجاهزة الى جميع بلدان العالم ، وينهب منها الخامات مقابل ذلك .

انكلترا هذه اصبحت مضطرة للوقوف الى جانب بلدان رأسمالية اخرى تزاحمها وتنافس احتكاراتها .

وقد حدث ذلك في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، يوم صارت الولايات المتحدة الاميركية و العديد من بلدان اوروبا الغربية ثم اليابان لفرض الرسوم الجمركية «الوقائية » دفاعا عن نفسها ، بوصفها بلدانا رأسمالية ناشئة بالقياس لبريطانيا ، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك التاريخ حتى بدأت تلك الدول تشق طريقها الى السوق الرأسمالية العالمية ، شقا أكد استنتاج ماركس القائل بأن كافة شعوب العالم تدخل « في نطاق شبكة السوق العالمية ، وبذلك يزداد ميل النظام الرأسمالي الى ان يتخذ طابعا دوليا»[68] .

و بالفعل فقد تحولت الرأسمالية القديمة الى رأسمالية حديثة ، الى امبريالية ، واصبحت ذلك ظاهرة عالمية ، واتخذت طابعًا دوليا . ففي عشية القرن العشرين رأى الناس نوع آخر من الاحتكارات :

اولا – اتحادات رأسمالية احتكارية في جميع بلدان الرأسمالية المتطورة .
ثانيا – وضع احتكاري لبعض البلدان في منتهى الغنى بلغ فيها تراكم الرأسمالية مقاييس هائلة وقد حدث « فيض من الرساميل » ضخم في البلدن المتقدمة »[69] .

ان مسألة فيض الرأسمال تلك قد تحققت على حساب تطور الزراعة التي بقيت متأخرة عن الصناعة.من جهة وعلى حساب مستوى معيشة الجماهير الذي ظل متاخما للجوع والبؤس رغم التقدم التكنيكي الهائل من جهة ثانية ، الامر الذي اصبح معه توظيف الرأسمال المتراكم في عدد ضئيل من بلدان اوروبا كما حدث انذاك في ظل « تأخير الزراعة وبؤس الجماهير »[70] عديم الربح ، مما خلق ضرورة تصديره الى المستعمرات من جهة ثالثة، ومع أن الامبرياليين استطاعوا بعد أن تمكنوا من السيطرة على المستعمرات . حيث تكون اسعار الارض منخفضة والاجور زهيدة والخامات رخيصة والارباح مرتفعة جدا .. مع انهم استطاعوا بعد أن استحوذوا على خيرات البلدان الاخرى ، ان يطوروا الزراعة ويعالجوا مسألة الجوع والبؤس برفع مستوى معيشة الجماهير الى احد ما فيما بعد ، غير ان عملية تصدير الاموال الى المستعمرات بقيت مستمرة بغية نهب خيراتها من جهة رابعة .

وقد لاحظ لينين ان تحول الرأسمالية القديمة الى رأسمالية حديثة ، الى امبريالية ، نشأ عنه انجذاب جملة من البلدان المتأخرة

---

66 كارل ماركس : رأس مال – المقدمة – ترجمة عيتاني.

67 كارل ماركس : رأس مال –ترجمة راشد البراوي ص 721 .

68 ماركس : رأس المال – ترجمة راشد البراوي ص 719

69 لينين – الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية – المختارات باللغةالعربية م – اج 2 ص 359

70 لينين - المرجع السابق ص 360

الى تيار الرأسمالية العالمية خض من تلك الظاهرة النتيجة التالية :

(ان تصدير الرساميل يؤثر على تطور الرأسمالية في البلدان التي يوجه اليها ، معجلا هذا التطور لاقصى حد . ولذا فان هذا التصدير اذا كان بامكانه ان يفضي لدرجة معينة الى بعض الركود في تطور البلدان المصدرة ، فهذا لا يمكن ان يحدث الا مقابل اطراد الرأسمالية سعة وعمقا في العالم بأسيره »[71] .

منذ ان قيل هذا الكلام في اواسط العقد الثاني من هذا القرن وتطورات الاحداث تتعاقب مؤكدة صحته وصوابه ، ولكن اذا كان تحول الرأسمالية القديمة الى رأسمالية حديثة ، الى رأسمالية احتكارية ، الى امبريالية ، لا بد ان يؤير على التطور الرأسمالي في البلدان التي يوجه اليها ، تأثيرًا يعجل في تطور هذه البلدان الرأسمالية الى اقصى حد ، الامر الذي ينجم عنه « تطور الرأسمالية سعة وعمقا في العالم بأسره » ... نقول اذا كان الامر على مثل هذه الشاكلة ، فماذا عن استنتاج ماركس بخصوص سير التطور الرأسمالي وهل يمكن لبلدان ما يسمى (اعتباطا) بالعالم الثالث المتخلفة أن تتبين صورة مستقبلها الصناعي الخاص ، في نموذج البلدان الرأسمالية المتقدمةعلى صعيد الصناعة، اما ان طريق التطور الرأسمالي قد أصبح موصدا بوجهها ، مما يدفع بعجلة تطور هذه البلدان للسير بطريق جديدة لا تستطيع برجوازيتها الوطنية ان تقوم بمهمة قيادة الثورة فيه ؟

يقول لينين : ان « خواص الامبريالية السياسية هر الرجعية على طول الخط واشتداد الظلم القومي بسبب استبداد الطغمة المالية وازاحة المزاحمة الحرة »[72] .

فاذا كانت هذه هي خواص الامبريالية ، واذا كان ليس بين المستعمرين من هو صالح لدعم تطلعات الشعوب الى التحرر من قيود تخلفها والسعي بها للوصول الى الحياة اللائقة فان امكانية اتباع طريق التطور الرأسمالي الذي سارت فيه البلدان الرأسمالية المتطورة ، لم تعد ممكنة بالنسبة لتطور المجتمعات المتخلفة المستعمرة او التابعة للاستعمار . ولعل الطريق الذي سلكته كل من الصين وكوريا الديمقراطية والفيتنام الديمقراطية وكوبا وبلغاريا ومنغوليا والعديد من جمهوريات الاتحاد السوفياتي والذي عجل بتطورها لدرجة كبيرة جدا بالقياس لتلك البلدان التي اختارت السير بطريق التطوير الرأسمالي كالهند وباكستان وتركيا والفيلبيين ... نقول لعل في ذلك دليلا على صحة عدم ملائمة هذا الطريق لتطور هذه البلدان التي لا درجة تطور قواها المنتجة ولا مستوى اقتصادها يسمح باعتماها للاقتصاد الحر ، وتبديد ثروتها القومية بتوزيعها على الافراد ، لذلك ولكي تعجل بنمو وثائر تطورها فانها مضطرة لان تختار طريق التطور الوطني الديمقراطي – الاشتراكي بعد ان اصبح طريق التطور الرأسمالي مقفلا بوجه تطورها .

ومعنى هذا اننا قد اصبحنا منذ الحرب العالمية الاولى وقيام ثورة أوكتوبر الاشتراكية العظمى ، امام ثورة ديمقراطية من نوع جديد (لا تنتسب الى الثورة الديمقراطية البرجوازية العالمية بمفهومها القديم ، بل تنتسب اليها بمفهومها الجيد – اي انها تبقى ثورة ديمقراطية برجوازية ولكن تقودها البروليتاريا بدلا من الثورة العالمية القديمة البرجوازية والرأسمالية ، بل تعد جزءا من الثورة العالمية الجديدة ، اي جزءا من الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية)[73] وبالتالي « فان البلد الاكثر تطورا في الصناعة» الذي « من شأنه ان يبين » لبلداننا « التي تتبعه على صعيد الصناعة ، صورة مستقبلها الخاص » هو الاتحاد السوفياتي والصين وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي ، وليست الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا او فرنسا او أي من بلدان المعسكر الامبريالي الاخرى .

يقول لينين : « .. .اذا ما قامت البروليتاريا الثورية الظافرة بدعاية منظمة بين هذه الشعوب ، واذا ما ساعدتها الحكومة السوفياتية بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرفها عندئذ يصبح من غير الصحيح التأكيد على ان مرحلة التطور الراسمالي هي مرحلة محتومة بالنسبة للاقوام المتأخرة »[74] . ان انتقال الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، يشترط توفر قيادة الطبقة العاملة لها و الا فإن الثورة الديمقراطية تعجز عن اداء مهمتها التي هي توفير الاساس المادي والتكنيكي للشروع في الثورة الاشتراكية .

وقد تأكدت هذه المقولة بنجاح التكتيك الذي اتبعه البلاشفة في قيادة ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، التي بدأت ثورة .

---

[71] لينين – المرجع السابق ص 362 – 363

[72] لينين المرجع السابق ص 417

[73] ماوتسي تونغ : حول الديمقراطية الجديدة ، المؤلفات المختارة م 2 ص 479

[74] لينين : حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية – تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات – ص 384

*** اولا : حلفاء الامبريالية ليسوا وطنيين وليسوا قيادة لحركة التحرر الوطني**

ديمقراطية – برجواية وانتقلت الى ثورة اشتراكية بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي

(ان الشرط اللازم لنجاح تحول الثورة الديمقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية هو تسلم البروليتاريا زمام قيادة الثورة وهذا الامر يبقى مستحيلا ما لم يوجد حزبها الماركسي – اللينيني الثوري)[75] .

هذه بايجاز تشديد خلاصة النظرية اللينينية القائلة بامكانية تحول الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالي . ومعلوم ان النظرية اللينينية هذه تلقي على عاتق الاحزاب الشيوعية الملتزمة قولا وفعلا لا قولا فقط بالماركسية – اللينينية ، مهمة نضالية شاقة تتطلب اول ما تتطلب من هذه الاحزاب ان تأخذ على عاتقها قيادة حركة التحرر الوطني اخذا يتيح لها امكانية احداث الثورة الوطنية الديمقراطية وانجاز مهماتها والانتقال بها الى الثورة الاشتراكية لتباشر بناء مجتمعها الاشتراكي دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالي ، ومعلوم ايضا ان الاحزاب الشيوعية العربية لم تقم بهذه المهمة الامر الذي اتاح للبرجوازية الصغيرة فرصة ان تقفز الى السلطة وتشرع بالتصدي للمهام الوطنية والديمقراطية وبدلا من ان يعيد الشيوعيون النظر بأساليبهم النضالية راح البعض منهم ينظر للتبعية للبرجوازية و يبرر الذيلية لها . ولعل السيد جواد واحدا من اولئك الشيوعيين الذين جندوا انفسهم لمهمة التنظير هذه . **لنرى!**

---

75 ف. كيللي وم. كوفالزون : المادية التاريخية ترجمة احمد داوود ص 303

الكاوتسكيون العرب والثورة
الوطنية الديمقراطية العربية

يستهل السيد جواد كلامه بالاستشهاد بلينين ، ليلبس منذ البدء قناعا لينينيا ، يتستر وراءه ، لكي يخاطب القراء من منبر الماركسية – اللينينية ، غير ان الزيف سرعان ما ينكشف ، بمجرد المباشرة بمطالعة اراءه والكيفية التي يفهم بها ارتباط الثورة الوطنية الديمقراطية بالثورة الاشتراكية من جهة ومهمة الاحزاب الشيوعية والعمالية التي يسميها بالحركة الديمقراطية والثورية في ثورتنا الراهنة من جهة ثانية .

وهو في كل ادعاءاته وتخرصاته لم يقدم استشهادا واحدا للتدليل على صواب ادعائه علما بان تراث الماركسية – اللينينية ، غني بالعديد من الموضوعات التي تتناول بالتحليل و الاستنتاج قضايا التحرر الوطني الديمقراطي .

لقد سمح السيد جواد لنفسه باستخدام مقاييس اعتباطية راح يحاكم بموجبها العديد من الموضوعات ، وفقا لمزاجه وهواه دون التفات لمدى الصحة و الصواب في الصور التي راح يرسمها للمفاهم والمقولات الفكرية ولكيفية تطبيقها والقوى القادرة على وضعها في حيز الترجمة العملية . وعلى ما يبدو انه أدرك الاختلاق الذي يمارسه ،فعمد الى الاقتضاب و الايجاز لدرجة طبع معها الغموض وعدم الوضوح عددا كبيرا من الموضوعات التي تطرق اليها ، والتي جاءت متعارضة و متناقضة مع المنهج العلمي المادي الديالتيكي الذي صاغه معلمو الطبقة العاملة ، ماركس وانحلس ، ولينين . لنرى :

يرى السيد جواد ان حركة التحرر الوطني العربية تنقسم الى جناحين ، احدهما ، اي الجناح البرجوازي يمثل القيادة ، وهذا واضح من تعابيره التالية :

« لقد خاضت حركة التحرر بقيادتها الوطنية الرسمية – الانظمة الخ ....»[76]

ان استعداد الجماهير العربية والفلسطينية العالي للعطاء (لا يمكن ان يغير شيئا من طبيعة الحرب الوطنية التي تخوضها القيادات الوطنية لحركة التحرر العربية الانظمة الخ)[77]

اما الجناح الثاني لحركة التحرر الوطني العربية ، فهي
القوى الديمقراطية بما فيها الاحزاب الشيوعية والقوى الثورية العربية و الفلسطينية التي يطلق عليها تعبير « الديمقراطية و الثورية »[78] .

إن القول بانقسام حركة التحرر الوطني العربية ، الى جناحين ، احدهما القيادات الوطنية – الانظمة ، والاخر هو الحركة الديمقراطية و الثورية . ان مثل هذا القول تنقصه الدقة العلمية ، ذلك ان اطلاق تعبير «الوطنية » على الجناح الاول لا يعبر عن طبيعة هذا الجناح السياسية – الاجتماعية ، خاصة عندما تطلق صفة الديمقراطية و الثورية على الجناح الثاني ، ذلك ان الوطنية (نسبة للوطن) ، ان لم تكن ديمقراطية و ثورية ، فانها ستكون رجعية بكل تأكيد ،وهذه المسألة كانت موضع نقاش في المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية التي يفترض بالسيد جواد انه مطلع على قراراتها التي تقول :

« ليس من شك في ان كل حركة وطنية لا يمكن ان تكون غير حركة برجوازية ديمقراطية »[79] ، ولكي لا « يندثر كل فرق

---

[76] جواد – شؤون فلسطينية العدد 33 ص 42

[77] جواد - المرجع السابق العدد 33 ص 42-43

[78] جواد المرجع السابق العدد 33 ص 43

[79] لينين : تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات – حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص 380 – 381

بين الحركة الاصلاحية و الحركة الثورية »[80] ، وكلتاهما حركتان برجوازيتان ، فقد رأت الاممية الثالثة في مؤتمرها الثاني ان تميز بين الحركتين : الاصلاحية والثورية باطلاق تعبير «الوطنية – الثورية »[81] لتميز الثانية عن الاولى «ومغزى هذا التبديل يتلخص في انه لا يتوجب علينا بوصفنا شيوعيين ، ان نؤيد الحركات التحررية البرجوازية في المستعمرات الا في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية حقا وفي الحالات التي لا يعيقنا فيها ممثلو هذه الحركات عن تربية و تنظيم جماهير الفلاحين و الجماهير الغفيرة من المستثمرين تربية ثورية و تنظيما ثوريا ... وفي حالة انعدام هذه الظروف يتوجب على الشيوعيين هذه البلدان ان يناضلوا ضد البرجوازية الاصلاحية »[82] .

لاحظ ان لينين ومعه الاممية الثالثة ، لا يعارضون التعاون مع القوى الرجعية العميلة المكشوفة تماما ، فحسب ، وانما هم يعارضون ويمتنعون عن تأييد حتى (الحركات التحررية البرجوازية) التي ليست ثورية حقا ولا يسمح ممثلوها للشيوعيين بتنظيم الجماهير وتربيتها تربية ثورية . وهذه القيادات التي يريد منا السيد جواد ومن هم على شاكلته السياسية ، ان نؤيدهما ونشترك واياها بالنضال حاليا وفي (مراحل الصراع اللاحقة التي فتحت الحرب افاقها)[83] ، لا تمتلك الصفات والشروط التي حددتها الاممية الثالثة ، فهي كفت عن النضال ضد الامبريالية وارتمت باحضان اميركا ارتماءا قطع كل جسور ارتباطها بالجماهير التي لا تعاني اليوم من شيء مثل معاناتها من اضطهاد هذه القيادات وارهابها الدموي (ضرب عمال حلوان وعمال شبرا الخيمة وضرب حركة الطلاب في مصر وذبح الشيوعيين وسائر الديمقراطيين في السودان) .

ان كنت تدري فهذه مصيبة وان كنت لا تدري فالمصيبة اعظم . ومصيبة جماهيرنا وحركتها الثورية مع هؤلاء الذين يغرسون العوائق والعقبات في طريق نضالها الثوري تتمثل في كونهم لا يكتفون بعدم تحمل مسؤولياتهم النضالية كاملة ، وانما هم يعمدون الى تبرير الانحراف عن النهج اللينيني الثوري . فالسيد جواد يلاحظ ظاهرة عجز القيادات البرجوازية التي يطلق عليها اعتباطا «القيادات الوطنية - الانظمة » عن التعبير عن قناعات الجماهير ومشاعرها ، ويلاحظ اضرار هذه « القيادات الوطنية – الانظمة » على منع الجماهير عن المساهمة بالاعداد للحرب والمشاركة فيها ... انه يلاحظ هذه الظواهر دون ان يدرك او أنه يتجاهل اسبابها وبواعثها الحقيقية . ان هذه القيادات الرسمية – الانظمة لم تعد وطنية وفقدانها لوطنيتها يرجع اساسا الى كونها قد اصبحت عاجزة عن مواصلة انجاز المهمات الوطنية والديمقراطية لان السير الى النهاية بهذا الطريق طريق التطور الوطني الديمقراطي - الاشتراكي ، يتعارض مع مصالحها الطبقية ، وعن عجزها هذا ، انبثق عدم قدرتهاعلى العطاء وتلبية مطالب الجماهير وحاجاتها المتجددة والمتطورة ، ولذلك بدأت تتناقض مع الجماهير و ترى في حركتها ونشاطها ومساهمتها في التحضير للحرب ومشاركتها فيها ، خطرا يهدد وجودها وينذر سلطتها العاجزة و المنحرفة عن خط الجماهير والثورة بالسقوط .

انها ليست قيادات وطنية لذلك لم تعد « تستطيع التعبير عن قناعات الجماهير ولا تستوعب استعداداتها ، بل ومنعتها باصرار من المساهمة في التحضير للحرب ، او الاشتراك بالقتال فيها ...»[84] بينما لاحظناها تدعو الجماهير للمشاركة بمواجهة العدوان الثلاثي عام 1956 وتوزع ثلاثة ارباع مليون قطعة سلاح . هل لاحظت يا حضرة الماركسي – اللينيني اللطيف لماذا هذه القيادات ليست وطنية ؟

ان اطلاق صفتي الديمقراطية و الثورية على الجناح الثاني هو اعتراف من قبل السيد جواد بأن الجناح الاول ليس ديمقراطيا ثوريا[85] ، الامر الذي يجعل من الخضوع لقيادته استسلاما لا يجد تبريره بغير الرغبة في عدم تحمل المسؤوليات النضالية في هذه المرحلة و الهروب من تحمل تبعات التصدي لها ونشدان راحة البال و العيش بسلام تيمنا بقوله تعالى « ولا تلقوا بانفسكم التهلكة ! » - دون الاعلان عن ذلك بصراحة . وفي هذه النقطة بالذات تكمن مشكلة بل مأساة دعاة هذا النهج الاصلاحي .

*** ثانيا : الاستخفاف بدور الجماهير تعبير عن النهج الاصلاحي والذيلية للبرجوازية .**

---

80 لينين : تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات – حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص 380 – 381

81 لينين : تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات – حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص 380 – 381

82 لينين : تقرير اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات – حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص 380 – 381

83 جواد : المرجع السابق ص 42

84 جواد - المرجع السابق ص 43

85 يصف الرئيس المصري كيسنجر بانه ثوري والسيد جواد يصف السادات بانه ثوري ايضا وهكذا يأخذ تسلل المراتب والنعوت مجراه الطبيعي .

يتخذ السيد جواد من حرب تشرين ، ذريعة ليطلق العنان لمشاعر الاستخفاف بدور الجماهير ، لدرجة تفرض علي ان اعترف بأنه يجيدها لحد الاتقان . ففي معرض تسفيهه للاعتزاز الذي يبديه الرفيق حبش بدور الجماهير الذي حال دون الاعتراف بالعدو الصهيوني طيلة السنوات الماضية ... يقول السيد جواد مستخفًا : « ان المسألة – ليست – مسألة استعدادات و قناعات » لدى الجماهير . و ان الحرب الاخيرة قد اكدت بشكل قاطع على ان استعدادات الجماهير العربية و الفلسطينية العالية للعطاء ، لا يمكن ان تغير شيئا من طبيعة الحرب ... و لا حتى التأثير في حدودها و اهدافها المحدودة ... و بالرغم من قناعات الجماهير و نواياها و استعداداتها العالية للعطاء و القتال ، فان الانظمة هي التي قادت الحرب و حكمت و تحكمت في مسارها ... ان فاعلية الوحدة الوطنية الفلسطينية ... لم تتمكن على الاطلاق من التأثير الفاعل في مسيرة الحرب و قرار استمرارها او توقفها ...الخ »[86] .

قبل ان نبدي ملاحظاتنا على نظرة السيد جواد التي تستصغر دور الجماهير وتستهين باستعدادها لخوض النضال ، علينا ان نسجل بأن مسألة بناء تكتيك ثوري على اساس استعداد الجماهير و قناعاتها العفوية وحدها ، امر مرفوض من وجهة نظر الماركسية – اللينينية ،اذ ينبغي ان يستند التاكتيك الثوري على حساب موضوعي دقيق و صارم لجميع القوى الطبقية وتجارب الحركات الثورية ليس في الساحة الفلسطينية و سائر الاقطار العربية فقط و انما في المجال العالمي أيضا . لان ثوراتنا القطرية ترتبط بعلاقة جدلية مع بعضها البعض و كذلك يرتبط نضالنا العربي بصورة عامة بالاوضاع العالمية و خاصة بالثورة البروليتارية العالمية ، و لذلك فان تجاهل مثل هذا الحساب و الاعتماد على حماس الجماهير وروحها الثورية فقط . لا يكفي لرسم نهج ثوري حقيقي ، اذ من السهل على اية منظمة و اي عنصر ان يظهر ثوريته عن طريق الادعاء و العبارات اللفظية التي لن تكون في نهاية المطاف شيئا ذي جدوى . و لنا من تجارب شعبنا البعيدة و القريبة ، مثل و عبرة .

فقد كان الفدائيون الابطال ومعهم شباب وشيوخ و نساء و اطفال المخيمات ، يتحدون رصاص الرشاشات و قذائف المدفعية و صواريخ العملاء في عمان واربد و الزرقاء و غيرها من مدن الاردن تحديا برهن معه شعبنا على المستوى الرفيع الذي بلغه ، ان في اقدامه على مجابهة العملاء ، و ان في بسالته في القتال ، او في صموده بوجه نيران القذائف المتدفقة من السعودية واسرائيل واميركا .

ولم يبرهن شعبنا على امتلاكه كل هذه الخصال الثورية ، فقط ، بل وكشف بجلاء ما بعده جلاء ، ان الاستعداد للتضحية و البلاء الحسن في القتال ضد الخصوم الطبقيين و القوميين ، صفات و خصائص ، على اهميتها ، لا تكفي لصنع النصر في المعارك المصيرية .

لقد دللت معارك الاردن البطولية ، على ان حماسة الجماهير واستعدادها وتحفزها للقتال ضد اعدائها، شروط هامة لخوض المعارك الحاسمة ، ولكنها غير كافية لاحراز النصر ، ما لم يتوفر شرط القيادة المتمثلة بوجود الحزب البروليتاري الماركسي – اللينيني الثوري ، اي الحزب الشيوعي الذي يتوفر بوجوده الشرط الأساسي للانتصار النهائي .

« ان حزب البروليتاريا السياسي ، هو صاحب الدور القيادي و الموجه في نضالها الطبقي ،وبدون الحزب المسلح بالنظرية العلمية و المرتبط ارتباطا وثيقا بالجماهير لا يمكن للبروليتاريا ان تحقق النجاح في نضالها ضد اعدائها الطبقيين » [87]

اما لماذا لم يقم الحزب الشيوعي الذي يتحمل اعباء قيادة الجماهير و توجيهها ليتمكن من تحقيق الانتصار على اعدائها فهذا امر ليس بوسع السيد جواد أن يدعي عدم معرفته، والا فانه يدين نفسه ويدحض مواقف سياسية وفكرية سبق له ان اتخذها على حد علمنا !؟

فاذا اتفقنا على ان بناء التكتيك الثوري يتطلب حسابا موضوعيا دقيقا للقوى الطبقية و لتجارب الحركات الثورية ، فاننا سنقع بخطأ فادح جدا اذا لم ندرك بان مثل هذا الحساب لن يكون دقيقا ما لم يأخذ قناعات الجماهير بعين الاعتبار بل ما لم يستند الى استعداد الجماهير للنضال الثوري . فبدون معرفة قناعات الجماهير واستعدادها الذي يعكس قناعاتها ، فبدون الاستناد الى مثل هذه المعرفة فانه لا يمكن تطبيق أي تكتيك ثوري في ميدان النشاط والعمل ضد الامبريالية والصهيونية وعملائها القدامى والجدد .

وبدون أن نخرج عن نطاق البحث ، فاننا نذكر السيد جواد بان الرفيق جورج حبش لم يكن يحلم عندما اشار الى « موقف

---

[86] جواد - المرجع السابق .

[87] المادية التاريخية – ف. كيللي.م.كوفالزوف – ص 249 .

الرفض الذي وقفته الجماهير الفلسطينية من المشروع الصهيوني منذ وعد بلفور حتى الان » . وقد كان على حق حين اكد على « ان هذا البناء السياسي للشعب الفلسطيني ، كان له تأثير كبير في سير كل الاحداث في المنطقة باتجاه خدمة اهداف الجماهير » .

مرة اخرى و من نظرة المصير المشترك الذي يجمعنا مهما اختلفنا في هذه المرحلة ، ادعو السيد جواد لان يعود معي الى احداث 1948 ، ففي ذلك الوقت لم تظهر فلول الحركة القومية التقليدية على حقيقتها عاجزة عن لعب اي دور وطني فحسب ، وانما ظهرت باعتبارها اداة بيد الاستعمار الغربي يستخدمها لقمع حركة الجماهير دفاعا عن وجوده وذودا عن مصالحها المشتركة معه : و قد تأكدت هذه الحقيقة للجماهير بشكل حاسم و نهائي ، حين انفضح تواطؤ حكومات الجيوش السبعة التي ذهبت الى فلسطين لكي تجهض امكانية نشوب كفاح جماهيري مسلح ضد الوجود الصهيوني ، الامر الذي كان يؤدي الى احتمال ان تشتعل المنطقة كلها بلهيب ثورة شعبية شاملة .

لقد كانت الجماهير الشعبية انذاك تبدي استعدادها لخوض حرب شعبية طويلة الامد، بيد ان الحكومات العميلة سارعت إل استبدال الحرب الشعبية بحرب رسمية رجعية وقد ادركت الجماهير هذه الحقيقة ، ادراكا كان يمكن معه أن تقود الاحزاب الشيوعية العربية حركة الجماهير العربية العفوية وان تنظم استعدادها للنضال الثوري تنظيما تستطيع معه اخذ زمام المبادرة في قيادة حركة التحرر الوطني العربية واسقاط الانظمةالرجعية العميلة لتباشر عملية البناء الوطني – الديمقراطي مباشرة تستهدف توفير الاساس المادي والتكنيكي للمشروع بالثورة الاشتراكية . ولكن هذه الاحزاب اتخذت موقفا آخر عبر عنه شعارها القائل « لتسقط الحرب بين العرب و اليهود » !

وامام مواقف الحكومات الرجعية العميلة المتواطئة، وموقف الاحزاب العربية العاجزة اتجهت حركة الجماهير لتعبر عن نفسها بعفوية ، اتجاها تجسد بقيام الاحزاب البورجوازية وبقيام ثورة عبد الناصر !

هذا مثل واحد للتدليل على اهمية قناعات الجماهير و استعدادها للنضال الثوري ، أتضح من خلاله بأن الموقف الذي اتخذته الاحزاب الشيوعية العربية لم يكن تكتيكا ثوريا . ثم تكررت اوضاع فترة الاربعينات عام 1967 حين انهزمت الانظمة التي بنتها القيادات البورجوازية هزيمة واجهتها الجماهير بالرفض والاستعداد للنضال ضد العدو الصهيوني ، فكانت حركة المقاومة الفلسطينية تعبيرا عن عفوية الجماهير يتميز نوعا عن رفضها لقيام اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية الرجعية عام 1948 . وتكرر موقف الاحزاب الشيوعية -العربية معاكسا قناعات الجماهير واستعدادها للنضال الثوري لدرجة اضطرت معها هذه الاحزاب لان تعيد النظر في موقفها وتشكل قوات انصار تعبيرا عن تراجعها عن خطأ موقفها السابق المبني على اعتبار المقاومة الفلسطينية ظاهرة مغامرة لا يقل خطرها عن خطر الرجعية .

وهذا مثل اخر يؤكد على اهمية قناعات الجماهير واستعدادها للنضال الثوري ومن هذين المثلين ندرك الخطأ الفادح الذي تؤدي اليه حسابات الموقف التكتيكي التي لا تأخذ بعين الاعتبار عامل قناعات الجماهير واستعداداتها . واليوم يتكرر الموقف ذاته ومع الاعتراف ب «ان شعوب المنطقة سترفض هذه العملية – عملية الوجود الصهيوني – بالضرورة على المدى القريب و المتوسط والبعيد ، وحركة الصراع في المنطقة ستأخذ مجراها للاخلال بميزان القوى من جديد لصالح حركة التحرر الوطني الفلسطينية و العربية »[88] ... مع هذا الاعتراف نجد ان السيد جواد يستخدم معطيات حرب تشرين لتصغير دور الجماهير و تضئيله والاستخفاف به ، بدلا من ان يتخذ من تلك المعطيات حجة لادانة .القيادات البرجوازية المتواطئة التي تتخذ من الحرب وسيلة لتضليل الجماهير وخداعها وبذلك ترتكب جريمتين : جريمةالضحايا التي تلتهمها الحرب لغير اهداف الجماهير ومطامحها ، وجريمة تضليل الجماهير وخداعها ، واخفاء الحقيقة عنها ... نقول بدلا من ذلك يلجا السيد جواد الى العكس ، الى اظهار دور الجماهير من خلال الحرب على انه عديم الجدوى والفائدة لكي يبرر لنفسه رفع لواء الدعوة للتعاون مع الانظمة التي يقول عنها انها«القيادة الوطنية » لحركة التحرر الوطني العربية !

فهو يقسم حركة التحرر العربية الى جناحين ، وهي بالفعل كذلك . بيد انه يتجاهل حقيقة كون الجناح الذي تمثلها الانظمة المستسلمة لم يعد وطنيا بعد ارتمائه باحضان الامبريالية الاميركية واعترافه باسرائيل ، وهذا الجناح يفرض قيادته على حركة التحرر لان الجناح الاخر متقاعس عن اداء مهماته وخانع للجناح اليميني المرتمي باحضان الامبريالية وسائر بركابه تحت ذريعة « الواقعية » و « ما هو مشترك » ، في وقت لم يبق فيه عمل يمكن أن يكون مشتركا بين الثوريين الحقيقيين واليمينيين المتحالفين مع الرجعية والامبريالية والصهيونية ليس هناك ما هو مشترك غير الاصلاحية ، التي ما تزال تشد الاصلاحيين الى

---

88 نايف حواتمة - شؤون فلسطينية العدد 30 شباط 1974 ص 32

القيادات الرسمية - الانظمة التي جعلت التحالف مع زعيمة الامبريالية في مقدمة القضايا التي تستحوذ على جهودها وتوجهها نحو مستقبلها .

وبعد ان يتجاهل السيد جواد هذه الحقيقة التي كانت الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية لا تتردد عن التعبير عنها واخرها البيان الصادر عن اجتماع الاحزاب الشيوعية العربية السبعة قبل حرب تشرين[89] . بعد ذلك يستغل حرب تشرين ليتحدث عن هامشية دور الجماهير وعدم جدوى استعدادها للعطاء ، حديثا يخرج منه بالتأكيد على ضرورة العمل سوية مع الانظمة « على اساس ما هو مشترك » [90] . من اجل « انتزاع الحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني دون التزامات واشتراطات من جهة والتصدي لتراجعها وتقليصها او ايقافها »[91] .

أن توجيهات السيد جواد عن العمل المشترك مع حلفاء الامبريالية ، لا تستند الى اي اساس موضوعي غير الدجل و الغش و تشويه الحقائق امام اعين الجماهير ففي وقد يعترف فيه بان حكام مصر وسوريا قد منعوا الجماهير باصرار عن التحضير للحرب و المشاركة في القتال ، و في الوقت الذي يكرر عدم جدوى استعداد الجماهير وقناعاتها ، وعجزها عن التأثير في الأحداث التي تقررها الانظمة ... في هذا الوقت يسمح لنفسه بالقول بأن التعاون مع الانظمة المستسلمة من شأنه ان يؤدي الى

---

89 في اواسط آب 1973 صدر عن اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني بيانا جاء فيه : انها « تنظر بقلق شديد الى حالة ، التراجع والميوعة التي تعيشها بعض الانظمة العربية والى انتعاش الاجنحة اليمينية فيها، والى التراجعات المتصاعدة التي تجريها هذه الاجنحة والتي بلغت حد الانحراف الذي لا يتوقف عند حد .ويصبح الميل الى التراجع والتنازلات الاتجاه السائد في مصر . وهذا ما يكسبه خطورة بالغة ، بالنظر للمركز الذي تحتله مصر في المجموعة العربية ، وخاصة بين دول المواجهة ، وللمكان الذي يعود اليها داخل حركة التحرر الوطني العربية . وان العمل الدؤوب من اجل تصفية تراث عبد الناصر في كافة الميادين يشكل اليوم احدى العلائم المميزة للوضع الراهن في مصر . ويتجلى ذلك في الرجوع عن المنجزات الاجتماعية والاقتصادية ووقف التنمية والتصنيع والضرب التدريجي للقطاع العام والتشجيع والمزيد من التنازلات للقطاع الخاص وتطوير هذا القطاع ، وتشجيع تغلغل الرساميل الاستعمارية ورساميل الرجعية العربيه، والمحاولات المستمرة لضرب الصداقة مع الاتحاد السوفياتي ، وممارسة القمع ضد القوى الديمقراطية والناصرية التقدمية » .وعن الدولة الفسلطينية يقول البيان :
« ... وتلتقي سائر المشاريع الاستعمارية حول الدولة الفلسطينية المطروحة عند هدف تصفية نضال الشعب العربي الفلسطيني وتصفية قضيته بوصف هذه القضية صدام حاد بين قوى التحرر والتقدم العربية وقوى الامبريالية والرجعية» (مجلة الاخبار البيروتية - العدد 30/986 في 25 اب 1973 .)
وقد شكل هذا البيان اساسا للبيان الصادر عن اجتماع الاحزاب الشيوعية لحزب الشيوعي اللبناني أيضا :
وفي بلاغها الصادر في نيسان 1974 عن الدورة الكاملة، تقول اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني أيضا :
« وقد لاحظت اللجنة "المركزية لدى تطرقها الى بحث الوضع العربي بان الهجمة الامبريالية التي اتخذت طابع العدوان المباشر في حزيران 1967 ، قد استمرت باشكال متنوعة ، وبانها رغم النتائج الايجابية التي اسفرت عنها حرب تشرين ... وبنتيجة تعزز مواقع الاجنحة اليمينية داخل حركة التحرر الوطني العربية، ومن خلال الانحراف في نهج القيادات العربية في تحقيق جملة من الاهداف التي عجزت من تحقيقها في المرحلة السابقة ، رغم الهزيمة وترى اللجنة المركزية ان القضية التي تجابه حركة التحرر العربي قد تجاوزت معالجة الثغرات التي كانت تعاني منها ، لتصبح قضية التصدي لمرحلة تجات في نهج كامل للتراجع عن معظم المواقف والمكتسبات التي انتزعتها خلال نضالها الطويل في المراحل السابقة .
وقد شددت اللجنة المركزية على أن الازمة التي تعاني منها حركة التحرر الوطني العربية تكمن اساسا في الطبيعة الاجتماعية ، للقوى التي انفردت بالقيادة في هذه الحركة ، وقد تجلى ذلك بنوع خاص في عدم قدرتها على خوض نضال شاق حاسم طويلا النفس ضد العدوان الاسرائيلي الامبريالي ،وفي ازدوا جيتها وترددها وتذبذبها وخوفها من الجماهير الشعبية والطبقة العاملة خاصة ،وغياب الحريات الديمقراطية ، وقد كان ذلك في اساس عجز تلك القيادات عن حسم الصراع الداخلي مع اليمين الرجعي ومع التآمر الامبريالي ، في اساس العجز عن السير في طريق حماية وتعميق التحولات الاجتماعية ، الامر الذي مكن القوى
اليمينية داخل حركة التحرر الوطني العربية وخارجها من تحقيق مكاسب هامة على طريق تأمين سيطرة اليمين الكاملة على السلطة في اكبر بلد عربي ، مصر ، والانطلاق من ذلك لتحقيق ردة كاملة في الداخل ، وتسليط اليمين على مقدرات الوضع في الوطن العربي .وتبدو سيطرة اليمين وثيقة الارتباط بالمخطط الاميركي الحالي لاعادة ترتيب الوضع في المنطقة ، بهدف ضمان مصالح الامبريالية الاميركية الستراتيجية السياسية والاقتصادية والنفطية خاصة
.
وقد احتلت الرجعية النفطية العربية ، ولا سيما السعودية وتحتل دورا هاما مساعدا في تنفيذ هذا المخطط ، وذلك عن طريق عملها لتعزيز مواقع اليمين في الاقطار العربية التي تحققت فيها تحولات تقدمية ، تمهيدا لضرب هذه التحولات والارتداد الكامل عن كل ما هو تقدمي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .
هذا قليل من كثير سطرته اقلام زملاءه الشيوعيين الرسميين ومع ذلك يصر السيد جواد على وطنية اصدقاء ويكسنجر !
ربما يثير هذا الكلام التباسا يتصور معه القارىء ان السيد جواد يقف متناقضا مع الاحزاب الشيوعية العربية الرسمية التي تبدو اقوالها وكأنها بيانات ادانة لمنطقة . ولا زالت مثل هذا الالتباس لا بد من جلب الانتباه الى أن ما يميز السيد جواد عن هذه الاحزاب هو انه بحكم موقعه وطبيعة الموضوع الذي تناوله وجد نفسه منساقا التصريح بما لم تستطع هذه الاحزاب التصريح به علنا. انهم جميعا السيد جواد والاحزاب الشيوعية العربية الرسمية يقفون على ارض واحدة هي ارض الجهود المستركة من اجل الاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها .اما ما يبدو من كلام الحزب الشيوعي اللبناني الذي لم يجد له مهمة تستحق استقطاب اهتمامه مثل مهمة حمل راية الدعوة الى الاستسلام ومشاركة المقاومة الفلسطينية في « مؤتمر جنيف » ... اما ما يبدو من تباين في الكلام ، رغم تطابق الممارسة العملية ، فيرجع الى ان تقارير هذه الاحزاب لا تعبر عن حقيقة مواقفها،التي تمثل نموذجا صارخا لهذا النمط من الشيوعيين الذين شكا منهم ديمتروف ،لانهم لم يتعلموا ، رغم مضي اكثر من خمسين سنة على وجودهم ، كيف يخوضون غمار الصراع الطبقي ، والذين اكتفوا بالقعود على الشاطيء ليراقبوا ويسجلوا تلاطم الامواج ، بانتظار الطقس الجميل . (راجع جورجي ديمتروف في الجبهة الوطنية الموحدة – ص 126) .

90 جواد : المرجع السابق ص 43

91 جواد المرجع السابق .

« انتزاع الحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني دون التزامات واشتراطات .. وكل خطوة تراجعية للانظمة الوطنية على هذا الطريق تفتح آفاق معارك وطنية و طبقية متصاعدة »[92]

أنه يدعو للوحدة مع الانظمة المستسلمة من اجل تحقيق الاهداف الوطنية « كذا » ، علما بانه هو الذي يقول « ان الحقيقة التي سجلتها حرب تشرين بهذا الصدد هي : بالرغم من ان الوحدة الوطنية العربية والفلسطينية التي تمت بمتانة ، واشتراك حركة المقاومة في الحرب منذ انطلاقتها وبكل طاقاتها ، فان فاعلية الوحدة الوطنية الفلسطينية ومن خلال المساهمة في الحرب لم تتمكن على الاطلاق من التأثير الفاعل في مسيرة الحرب وقرار استمرارها او توقفها »[93] .

نقول اذا كان الامر كذلك فكيف يمكن لهذه القوى الديمقراطية و الثورية الفلسطينية و العربية ان تنتزع اهدافا وطنية من خلال العمل المشترك مع هذه الانظمة التي يؤكد السيد جواد على ان « الوزن العسكري و السياسي و الاقتصادي للحرب هو في قبضة قيادتها الوطنية و بالاخص قيادتها المصرية »[94] ؟ .

ان العمل المشترك مع هذه الانظمة المستسلمة للامبريالية لن يؤدي اطلاقا الى نمو القوى الديمقراطية والثورية ، بل على العكس تماما انه يكرس دور الانظمة ويزيد من وزنها العسكري والسياسي و الاقتصادي ، لان التحالف معها يخدمها و يضر . بالجماهير ، بينما النضال ضدها من شأنه ان يساعد على نمو القوى الديمقراطية ويعزز مكانتها ويرفع من شأنها باعتبارهما البديل الثوري للانظمة المستسلمة . ان الاغبياء وحدهم لا يدركون أن سعي الانظمة لاشراك المقاومة في التسوية ، هدفه ان تكون هذه المشاركة غطاء فلسطينيا تستطيع الانظمة بوساطته - ولو لحين - اخفاء حقيقة وخطورة العمل الذي تقدم عليه من جهة ولكي تبقى متحكمة بمصير حركة التحرر العربية من جهة ثانية .

ان الحجة اليتيمة التي ينقضها السيد جواد نفسه أكثر من مرة ، و القائلة بأن دور هذه الانظمة ما يزال كبيرًا و انها ما تزال هي القوى الفاعلة لا تكفي لتدعيم توجيهاته بخصوص (النضال المشترك و على أرضية برنامج كفاحي مشترك للتعامل مع معطيات تشرين الايجابية و التصدي لتحدياتها)[95] لان اساس التعامل لا يصح ان يكون فاعلية دور هذه الانظمة بل طبيعة هذا الدور و مضمونه . والا فان التحالف يصبح مبررا مع السعودية ايضا لان دورها كان دورا فاعلا ايضا ، بل ومع اميركا (كما تفعل الانظمة نفسها) لان دورها أيضا فاعلا في هذه الايام للضغط على اسرائيل من اجل ان تواجه « السلام » بنفس الشجاعة التي واجهت بها الحرب على حد تعبير زعيم الامبريالية نيكسون !

ان توجيهات السيد جواد وتأكيداته على ضرورة عدم التفريط بالانظمة هو تكرار أمين لتوجيهات المناشفة ، سيء الصيت . فمثلما يبرر السيد جواد التعاون مع الانظمة بضعف حركة الجماهير ، فان السادة المناشفة كانوا يقولون ايضا : (ان البروليتاريا ف
ي
روسيا ، من حيث مجموعها ، لم تبلغ بعد من الوعي والتنظيم ما يمكنها من تحقيق الثورة لوحدها)[96] وقد حارب لينين هذه الدعوة وسخر منها ، حين علق على هذا الكلام قائلا : « وهكذا ، فان من مصلحة البروليتاريا ان لا تتمكن حكومة القيصر من الفصل بين البرجوازية والبروليتاريا»![97] . ثم يستطرد قائلا : (لاحظوا هذه الفلسفة الرائعة عن الثورة الديمقراطية! افلا نرى هنا بأم عيوننا هذا التفليسي المسكين وقد ضل السبيل تماما بسبب من التفسير المتزمت والذنبي لفكرة « الثورة البرجوازية») ؟[98] .

*** ثالثا – اين ينبغي أن تتربى الجماهير : أفي النضالات الاصلاحية ، ام في الانتفاضة المسلحة ؟**

---

92 جواد المرجع السابق .

93 جواد : المرجع السابق ص 44 ٠

94 جواد : المرجع السابق ص 44 ٠

95 جواد : المرجع السابق .

96 لينين : خطتا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية المختارات م1 ج2 ص 61

97 لينين - المرجع السابق .

98 لينين – المرجع السابق .

ان الدعوة للعمل المشترك مع الانظمة المستسلمة ، مهما بلغ تمويه جوهرها لا يمكن اظهارها بغير كونها دعوة للانبطاح على اعتاب البرجوازية اليمينية الراكعة امام الامبريالية الاميركية . لانها دعوه تلتقي كلية مع ما يريده ! هل النظاميين المصري و السوري ، فهؤلاء لا يكتفون بالدعوة فقط ، بل انهم يمارسون ضغوطا مختلفة من أجل اشراك المقاومة الفلسطينية في سياستهم الاستسلامية . فالدعوة للعمل المشترك مع الانظمة المستسلمة هي استجابة مقنعة لما يريده اهل هذه الانظمة ، بيد ان حيثيات كل من الدعوتين (دعوة الانظمة لان تكون المقاومة طرفا في التسوية ودعوة جواد ومن هم على شاكلته السياسية للعمل المشترك مع الانظمة) ، تختلف اختلافا كليا . ففي حين تحاول الانظمة ان تظهر موقفها على اساس انه التزام من قبلها بحقوق الشعب الفلسطيني ، وترجمة لمسؤوليتها القومية تجاه هذا الشعب ، نجد فصائل المقاومة المستسلمة تبني موقفها على أساس موقف هذه الانظمة نفسها لشعورها بأن هدفها المرحلي الذي هو « الدولة الفلسطينية » يعتمد في تحقيقه على موقف الانظمة ذاتها ، لذلك تبذل هذه الفصائل جهودا مثابرة من أجل الغاء الفارق بين استراتيجية الثورة الفلسطينية و تكتيكها و بين استراتيجية اهل النظامين المصري و السوري ، لكي يصبح التطابق اساسا للموقفين . ومعلوم ان التطابقٍ بين موقف الثورة الفلسطينية و بين الانظمة ، يعني الاتفاق على الانخراط في صفوف التبعية لاميركا !

ان قبول هذه الانظمة ، بل والحاحها على دخول المقاومة الفلسطينية طرفا في التسوية دافعة شعورها بانها تستفيد من وجود المقاومة معها ، لتضفي على التسوية شرعية فلسطينية ، اولا ، ولكي تجهض (وهذا هو السبب الاهم والدافع الاول) الثورة الفلسطينية التي تلعب دور المحرض للجماهير العربية علاوة على دورها الفلسطيني الذي يجعل من التسوية خيانة مفضوحة ، ثانيا ..

وربما جلبنا انتباه السيد جواد الى تصريحات كيسنجر و نيكسون التي ادليا بها مؤخرا لتطمين الإتحاد السوفياتي بان اميركا لا تريد اخراجه من المنطقة ، وقد لاحظ الجميع ان كيسنجر التقى مع غروميكو أثناء عملية فك الارتباط بين سوريا واسرائيل مع انه رفض في السابق أن يلتقي معه ، لماذا؟ لانهما (نيكسون و كيسنجر) شعرا بأن مصلحة اميركا تقتضي في هذه المرة اللقاء . والجميع ايضا يدرك ان اميركا تعمل على اخراج الاتحاد السوفياتي من المنطقة و لكنها بحاجة للتعاون الجزئي معه في هذه المرحلة لذلك نراها تسعى للتعاون الجزئي والمحدود معه حيث تجد صعوبة في السير منفردة ، بغية الاستفادة منه لتسهيل مهمتها غير المعلنة ، المهمة التي لعب بطلها دور القائد للتآمر الامبريالي الذي اجهز على الحركة الوطنية في التشيلي واغرقها في الدماء كما يغرق اليوم جزيرة قبرص . ولعل ما يجري في سوريا التي تحتاج في هذه المرحلة الى غطاء سوفياتي . نقول لعل وضع سوريا يعطي برهانا لتأكيد صحة هذا القول . يقول لينين : « لا يجوز ان ننسى ان التشاؤم الدارج ازاء صلتنا مع الجماهير يخفي اليوم ، في كثير من الحالات ، افكارا برجوازية عن دور البروليتاريا في الثورة ، ولا ريب انه لا يزال علينا ان نعمل الكثير الكثير من اجل تربية الطبقة العاملة وتنظيمها ، ولكن كل ما في الامر الان ، ان نعرف اين يجب ان يكون مركز الثقل السياسي الرئيسي في هذه التربية و هذا التنظيم : أفي الجمعيات الشرعية والنقابات ام في الانتفاضة المسلحة ؟ »[99] « ان الطبقة العاملة تتربى و تنتظم في الحالتين . و بديهي ان هاتين الحالتين ضروريتان ٠ ولكن كل ما في الامر الان في الثورة الحالية ، ان نعرف في اية نقطة، في الاولى أم في الثانية ، سيكون مركز الثقل في تربية الطبقة العاملة وتنظيمها ٠

ان مال الثورة يتوقف على ما يلي : اتقوم الطبقة العاملة بدور المساعد للبرجوازية ، مساعد قوي من حيث شدة هجومه على الاوتوقراطية ، ولكنه عاجز من الوجهة السياسية ، ام انها ستضطلع بدور القائد للثورة الشعبية ؟ »[100]

ونحن الان ، وبعد مضي سبعين سنة على كلام لينين هذا ، وبعد انصرام خمسين عاما على قيام احزابنا الشيوعية العربية ، نجد انفسنا مضطرين، لان نكرر تساءل لينين عن اي من الطريقين ينبغي ان نختار : السير في ذيل الاحداث والخضوع لقيادة البرجوازية ، بذرائع وحجج لم تعد تقنع حتى دعاتها ، أم التصدي للمهمات النضالية الوطنية والديمقراطية بهدف الاطاحة بالرجعية والقيادات البورجوازية على حد سواء ، ونضطلع بالدور القائد للثورة لكي نكون طليعيين ثوريين للطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية .. .للطبقة العاملة العربية ، التي تتطلب ظروف المرحلة الجديدة قيادتها ؟

ان جماهيرنا تتربى وتنتظم في كلتا الحالتين ، اذ يمكن ان نربيها تربية اصلاحية تلجم ميلها الموضوعي نحو العنف الثوري ، وتشيع التردد والخوف والاستكانة بين صفوفها ، كما يمكن ان نربيها تربية ثورية تنسجم مع ميلها الموضوعي وتغذيها بغذاء العنف المسلح والرد على العنف الرجعي بعنف ثوري منظم ٠ فأين ينبغي ان تتربى جماهيرنا : في النضالات الاصلاحية ، ام في الانتفاضة المسلحة ؟

---

[99] لينين – خطتا الاشتراكية – الديمقراطية في الثورة الديمقراطية م1ج2 ص 12

[100] لينين – خطتا الاشتراكية – الديمقراطية في الثورة الديمقراطية م1ج2 ص 12

*** رابعا : الكاوتسكيون العرب والنظرية اللينينية عن تحول الثورة الديمقراطية للاشتراكية .**

1 – قبل ان نناقش فهم السيد جواد لارتباط الثورة الوطنية الديمقراطية بالثورة الاشتراكية علينا ان نقف امام بعض الامور التي صاغها يراع اللينيني الذي يتجاهل لينين . ففي الوقت الذي يؤكد فيه على وجود جناحين لحركة التحرر العربية ، وان هناك « مواقع وادوار »[101] لكل منهما « في الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية »[102] وهذا يعني وجود « هدفين يرتبطان بمرحلتين تاريخيتين ، ويتصدى لانجازهما جناحا حركة التحرر العربية بقيادتين مختلفتين في الطبيعة والبرامج والممهمات والاشكال الكفاحية »[103] ، وفي الوقت الذي يتحدث فيه. عن وجود « فواصل تاريخية»[104] تفصل بين المرحلتين والثورتين وفي الوقت الذي يقول فيه « لا مجال هنا لمناقشة تداخل مهام الثورتين »[105] دون ان يتكرم علينا بتوضيح اسباب هذه ال « لا مجال ... » وفي الوقت الذي يؤكد فيه على ان « الحركة الديمقراطية والثورية العربية والفلسطينية ، هي ، فحسب ، التي تتمكن من التصدي لانجاز مهام الثورّة الوطنية الديمقراطية الناجز ، وتوفير شروط الحرب الشعبية الطويلة الامد وخوضها حتى اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على كل التراب الفلسطيني»[106] وان القيادات البرجوازية التى يسميها ب « القيادة الوطنية ، لا تستطيع حتى انجاز حرب وطنية ناجزة . وهذا التأكيد هو الوجه الثاني لعدم قدرتها على انجاز مهمات الثورة الوطنية الاخرى ، الاقتصادية والسياسية»[107] ... بعد هذا كله يفاجئنا في الصفحة التالية بقوله التالي :

« من هنا – أي مما تقدم – فان هدف التحرر الكامل يرتبط بتوفير شروط قيام واستمرار الحرب الشعبية الطويلة الامد ، وهو هدف لا يمكن انجازه الا بنمو القوى الطبقية المحركة لاستراتيجية حرب التحرير الشعبية العربية كأداة لتحقيقه ، اي نمو القوى الطبقية المحركة للثورة العربية ، جناحا حركة التحرر العربية ، وتصديها لقيادة وانجاز مهام الثورتين المتداخلة »[108]

لاحظ كيف ان السيد جواد قد وضعنا امام اقوال متناقضة جعلت من موضوعه حزورة واية حزورة !

فنحن لا ندري ماذا يريد منا السيد جواد ؟

هل يريد منا ان ننتظر ريثما تنمو (الحركة الديمقراطية و الثورية) لكي تتعدل « موازين القوى الوطنية الراهنة – حتى تتمكن – من قيادة الثورة و الحرب »[109] ، اي حتى تنتزع القيادة من الانظمة ، ام انه يريد منا ان ننتظر حتى ينمو « جناحا حركة التحرر العربية – لكي – يتصديا لقيادة وانجاز مهام الثورتين المتداخلة » ؟ ... و معلوم أن تعبير « جناحا .. الخ » يستخدمه السيد جواد للتفريق بين القوى الديمقراطية و الثورية و بين الانظمة الرسمية التي يسميها « القيادة الوطنية » لحركة التحرر العربية .. فاذا كان المطلوب هو ان ننتظر حتى تنمو قوى جناحي حركة ، التحرر ، اي القيادات الرسمية اي الانظمة و القوى الديمقراطية و الثورية ، مع ، فماذا يعني هذا الطلب غير كونه حزورة ؟! و ما هي النتائج الايجابية التي تجنيها القوى الديمقراطية و الثورية ، يا ترى ؟

ان لم يكن السيد جواد قد كتب هذه الفقرة ، في الساعات الاخيرة من الليل بعد عمل مضن استغرق اليوم كله ، دون ان يراجعها ، فانه يقصد ان حرب تشرين بقدر ما اكدت قدرة الانظمة التي يسميها القيادة الوطنية لحركة التحرر العربية على شن

---

101 جواد : المرجع السابق .

102 جواد : المرجع السابق .

103 جواد : المرجع السابق .

104 جواد : المرجع السابق .

105 جواد : المرجع السابق .

106 جواد : المرجع السابق .

107 جواد : المرجع السابق .

108 جواد : المرجع السابق .

109 جواد : المرجع السابق .

الحرب وقيادتها ، فانها ، اي الحرب قد اكدت أيضا عجز الانظمة عن انجاز حرب تحرير وطنية ، بله حرب تحرير شعبية طويلة الامد ، هذا من جهة ، وان الحرب الأخيرة ايضا قد اكدت ان استعداد الجماهير ومعها القوى الديمقراطية والثورية ، لم يكن له وزن ذي بال في الحرب لانها « لم تتمكن من أن تطرح برنامجا عسكريا واقتصاديا وسياسيا مشتركا »[110] مع قيادة الحرب ، اي مع الانظمة « يمكن من التأثير في طبيعة الحرب ويتجاوز افاق قيادتها المصرية المتحكمة »[111] من جهة ثانية ، وهذه الحالة ، اي حالة عدم وجود البرنامج العسكري والاقتصادي والسياسي المشترك بين جناحي حركة التحرر العربية ، ادت الى فصل مهام الثورتين عن بعضها من جهة ثالثة، ونظرا لكون الانظمة «ما يزال دورها رئيسيا وحاسما في التعامل مع نتائج الحرب وتحدياتها » فانه يقترح برنامجا «للنضال المشترك وعلى ارضية برنامج كفاحي مرحلي مشترك – بين الانظمة والقوى الديمقراطية والثورية – للتعامل مع معطيات تشرين الايجابية وفي مقدمتها التسوية طبعا – والتصدي لتحدياتها »[112] ، من اجل تطويق تراجعات الانظمة ودفعها لان تعمل على رفع درجات التطور لكي تنمو القوى الديمقراطية والثورية الى جانب نمو الانظمة « اي نمو القوى الطبقية المحركة للثورة العربية ، جناحا حركة التحرر العربية...الخ » وعملية النمو التي تتم من خلال العمل المشترك من شأنها ان تجعل مهام الثورتين متداخلة وقابلة للانجاز ايضا من جهة رابعة !

وبعبارة موجزة انه لا يرى مجالا لمناقشة تداخل مهام الثورتين ، طالما ان حركة التحرر العربية منقسمة على نفسها ، ولكي نعيد الامور الى نصابها ، بفك عزلة الجماهير وقواها الديمقراطية والثورية عن ميدان « الثورة وقيادة الحرب » من جهة وبتحرير الانظمة من حالة العجز التي تعانيها بوساطة العمل المشترك معها من اجل انجاز مهام الثورتين المتداخلة من جهة ثانية .

ونحن نقول ونكرر القول : يا حبذا ، يا حبذا ، لو ان هذه الاحلام الوردية ، تتحقق ! ولكن هذه المعجزة لن تحدث أبدا حتى لو استمرت القوى التي يقصدها السيد جواد في السير بطريق التبعية والذيلية للانظمة البورجوازية . والسبب الذي يحول دون تحقق احلام السيد جواد الوردية هذه هو ان برنامجه المقترح لن يؤدي الى نمو « موازين القوى الوطنية والطبقية»[113] للحركة الديمقراطية والثورية ، بل يكرسها ذيلا للانظمة المستسلمة، لان العمل المشترك مع الانظمة العاجزة عن مواصلة انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والمرتدة عن النهج الثوري بسبب وعيها لتعارضه مع مصالحها ... ان العمل المشترك معها من شأنه ان يضعف القوى الديمقراطية و الثورية او بتعبير ادق يزيدها ضعفا ، ويساعد الامبريالية و الرجعية و الصهيونية على تنفيذ مخططاتها في المنطقة ، اي أنه يؤدي الى عكس ما يحلم به رموز الاصلاحية والذيلية و أبطالها ، بحكم كونه اي العمل المشترك . يدعم سياسة الاستسلام التي تتبعها الانظمة العاجزة التي انتقلت الى صف القوى الرجعية و جندت نفسها للتحالف مع الامبريالية و الرجعية و الصهيونية . فالتحالف مع الانظمة العاجزة يعني السير بركاب سياستها هي بحكم موازين القوى التي جعلت دور الحركة الديمقراطية و الثورية ، هامشيًا في الحرب الاخيرة على حد تعبير السيد جواد نفسه .

2 - ان السيد جواد يرجع عجز القوى الديمقراطية والثورية اي الاحزاب الشيوعية العربية بالذات عن استلام السلطة الى درجات التطور[114] ، اذ يقول ان « قيادات الحركة الديمقراطية والثورية ... لم تمكنها درجات التطور وموازين القوى الوطنية والطبقية من استلام السلطة السياسية والتصدي لمهام الثورة وقيادة الحرب »[115] .

ان ارجاع عجز الاحزاب الشيوعية العربية والعمالية عن « التصدي لمهام الثورة وقيادة الحرب » الى عدم كفاية « درجات التطور » لا بد ان ينظر اليه على انه تفسير لظاهرة العجز ، ولكنه الثوري ، لان مسألة « التصدي لمهام الثورة وقيادة الحرب » لا تتعلق ب « درجات التطور » بقدر ما تتعلق بطبيعة البرامج السياسية للأحزاب الشيوعية و العمالية والمهام العملية التي تتصدى لادائها « فطابع تنظيم كل مؤسسة يحدده بصورة طبيعية محتومة مضمون نشاط هذه المؤسسة »[116] .

---

110 جواد : المرجع السابق .

111 جواد : المرجع السابق .

112 جواد : المرجع السابق .

113 جواد ، المرجع السابق .

114 اذا اعتبرنا السلطة القائمة في عدن تمثل امتدادا متطورا لحركة القوميين العرب، والسلطةفي بغداد ودمشق.هي سلطة البعث العربي الاشتراكي، فان بقية القوى العربية باستثناء الاحزاب الشيوعية العربية ، تتوزع مسألة استلام السلطة بين مصر والجزائر والسودان وليبيا ، وبالتالي فان قول السيد جواد لا ينطبق الا على الاحزاب الشيوعية العربية التي يرجع عدم استلامها للسلطة لعدم كفاية (درجات التطور) !

115 جواد : المرجع السابق

116 لينين – ما العمل؟ م1ج1 ص 262

ومع « ان كل خطوة تخطوها الحركة الفعلية ، لاهم من دزينة من البرامج»[117] ، بيد ان وجود البرنامج ووضعه بيد الجماهير ، من شأنه ان يتيح الناس فرصةالحكم على هذه الاحزاب بالاستناد الى برامجها التي تعطي صورة للمستوى الذي يلفته حركتها ونشاطها ، في مختلف المجالات ، ذلك ان البرنامج الحزبي ، هو الوثيقة النظرية التي تعكس وتحدد ايديولوجية الحزب وسياسته. لذا فانها وثيقة بالغة الاهمية ، تكتسب اهميتها من كونها تعبر عن مبادئ الحزب و اهدافه و توضح السبل و الوسائل التي تكفل تحقيقها .

ان البرنامج السياسي ، (دائما بمثابة راية ترفع امام انظار الجميع ، وعلى اساسها ينظر العالم الخارجي الى الحزب. ولذا ينبغي ف
ي
مطلق الاحوال الا يكون البرنامج خطوة الى الوراء)[118] .

---

[117] كارل ماركس : نقد برنامج غوتا – المختارات م2 ص 238

[118] انجلس رسالة الى بيبل - المختارات م2 ص 277

انه ، اي البرنامج الحزبي هو الدليل النظري اذ « لا حركةثورية بدون نظرية ثورية »[119] ، الذي يرشد حركة الحزب ويوجه نشاطه « وكان ماركس يقارن برامج الاحزاب الماركسية بالشاقول الذي يحكم به الناس على مستوى الحركة الحزبية » انه المقياس الذي تقاس به اللحظات الحرجة في المراحل الجديدة لتطور الحركة الثورية في المجتمع »[120] .

وبعبارة واضحة ، (لن يكون الحزب قادرا على االمحافظة بحزم في كل المناسبات على خطه عند كل منعطف للاحداث وان يدعم الصلات بين الشيوعيين ، ويجذب الجماهير للثورة ان لم يكن مزودا ببرنامج سياسي ثوري وبه فقط)[121]

فعندما تكون هذه البرامج ثورية لاحزاب ثورية ، فان تصديها لمهام الثورة و قيادة الحرب يصبح امرا ممكنا بدليل ثورات البلدان الاشتراكية و على رأسها و في مقدمتها ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، وان كانت برامجها وممارستها اصلاحية ، فانها تعجز عن التصدي لمهام الثورة و قيادة الحرب كما هو شأن احزاب الاممية الثانية مثلا .

يقول لينين : « ان الثورة الاشتراكية لن تكون لا كليا و لا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريين الثوريين في كل بلد من البلدان ضد برجوازياتهم ،قطعا ، انما ستكون نضالا من قبل جميع المستعمرات و البلدان التي تظلمها الامبريالية نضالا من قبل جميع البلدان التابعة ضد الامبريالية العالمية »[122] .

ويقول ستالين: « ان تحول الرأسمالية الى نظام عالمي قوامه الاستعباد المالي والاضطهاد الاستعماري لاكثرية السكان العظمى في الكرة الارضية من قبل قبضة من البلدان المتقدمة »[123] ... ان تحول الرأسمالية الى نظام عالمي ، جعل تحليل الظروف التي تسبق الثورة البروليتارية والذي ينطلق من وجهة نظر الوضع الاقتصادي لهذا البلد او ذاك مأخوذا بمفرده ، لم يعد كافيا ، ولذلك ينبغي معالجة القضية « من وجهة نظر الحالة الاقتصادية في مجموع البلدان ومختلف الاقتصاديات الوطنية التي لم تعد وحدات تكفي نفسها بنفسها ، بل اصبحت حلقات في سلسلة واحدة اسمها الاقتصاد العالمي »[124] ولذلك فان الكلام عن « وجود او غياب ظروف موضوعية لاجل الثورة البروليتارية في مختلف البلدان او على الاصح ، في هذا البلد المتطور او ذاك »[125] ... ان مثل هذا الكلام لم يعد كافيا ، لذلك ينبغي الكلام عن مجموع النظام الاقتصادي الاستعماري العالمي الذي اصبح ناضجا من اجل الثورة ، « قبلا كانت العادة ان يجري الكلام عن الثورة البروليتارية في هذا البلد المتطور او ذاك ، من حيث هي مقدار بذاته ، مقدار مطلق يكفي نفسه بنفسه ، ويعارض جبهة وطنية معينة للرأسمال ، كما هي الحال في قطبين متعارضين متقاطرين اما الان ، فان وجهة النظر هذه لم تعد كافية ، فينبغي الكلام الان عن الثورة البروليتارية العالمية ذلك لان جبهات الرأسمال الوطنية المختلفة اصبحت حلقات في سلسلة واحدة اسمها جبهة الاستعمار العالمية التي ينبغي ان تعارضها الجبهة المشتركة للحركة الثورية في جميع البلدان »[126] .

ويستطرد ستالين قائلا :
« اين ستبدأ الثورة ؟ في اي بلد قبل غيره ، يمكن خرق جبهةالرأسمالية؟

هناك حيث الصناعة اكثر تطورا ، حيث البروليتاريا تؤلف الاكثرية ، حيث الثقافة اكثر ، والديمقراطية اكثر.... هكذا كان الجواب قبلا ، بوجه عام ، غير ان النظرية اللينينية عن الثورة تعارض ذلك وتجيب : كلا ! ليس بالضرورة هناك حيث الصناعة اكثر تطورا ، الخ ... فان جبهة الرأسمال ستخرق هناك حيث سلسلة الاستعمار اضعف »[127] . وقد تأكدت صحة النظرية

---

119 لينين ما العمل ؟ المختارات م1ج1 ص 179

120 تودور جفكوف : التقرير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري الى المؤتمر العاشر للحزب – ص 125

121 لينين : ما العمل ؟ ص 80

122 لينين : المختارات م3ج1 ص 408

123 ستالين : اسس اللينينية- طبعة دار دمشق .

124 ستالين : اسس اللينينية- طبعة دار دمشق .

125 ستالين : المرجع السابق ص 40 ،41 على التوالي .

126 ستالين : المرجع السابق ص 40 ،41 على التوالي .

127 المرجع السابق ص 40 ،41 على التوالي .

اللينينية في عام 1917 ، حين قامت ثورة اكتوبر في اضعف حلقات سلسلة النظام الاستعماري العالمي ، وفتحت بقيامها الطريق امام الثورة البروليتارية فتحا اكد « ان الحسابات الاحصائية عن النسبة المئوية البروليتارية في تركيب السكان ، في هذا البلد بمفرده او ذاك ، تفقد ، فيما يتعلق بحل مسألة الثورة البروليتارية ، تلك الاهمية الاستثنائية التي كان يعزوها اليها بطيبة خاطر ، فقهاء الاممية الثانية الذين لم يفهموا ، ما هوالاستعمار والذين يخافون الثورة كما يخافون الطاعون »[128] .

والان ، اين هذا الكلام كله من تفسير السيد جواد الذي يرجع عجز الاحزاب الشيوعية العربية عن «التصدي لمهام الثورة وقياة الحرب » الى عدم كفاية « درجات التطور » ؟

ان الماركسية – اللينينية ، ليست مذهب مسالمة ولا منهج تبعية وذيلية للبرجوازية المتحالفة مع الامبريالية ، وانما هي مذهب ثوري لا يجد ترجمته الا في النضال الثوري، النضال الذي يواجه العنف الامبريالي – الرجعي ، بالعنف البروليتاري – الجماهيري الثوري .

ان الانتهازيين حين يلبسون براقع اليسارية البروليتارية انما يعترفون « بالماركسية » مطهرة تماما من كل روح ثورية ومكيفة وفقا لحاجات البرجوازية الليبرالية [129] . وكما حدث في روسيا حين اتخذ الانتهازيون حالة التأخر السائدة ، انذاك ، لدى جماهير العمال لكي يقتصروا « مهمات الحركة العمالية ونطاقها على النضال الاقتصادي وعلى مساندة الليبرالية سياسيا دون ان يعينوا لانفسهم مهمات سياسية مستقلة ولا اية مهمة ثورية »[130] ...كما حدث هذا في روسيا أبان الحرب العالمية الاولى ، فان الانتهازيين في وطننا يسلكون السبيل ذاتها اليوم لتبرير تبعيتهم للبرجوازية .

« ان الماركسي لا يشك مطلقا في ان الثورة مستحيلة دون وضع ثوري ، ولكن ليس كل وضع ثوري يؤدي الى ثورة »[131] . وقد نشأت في وطننا العربي اوضاع ثورية في فترات عديدة منذ اواخر الاربعينات ، بل منذ اواخر الثلاثينات حتى الان ، ولعل اقربها تلك التي اعقبت هزيمة 5 حزيران 1967 ، و الاوضاع التي نشأت في فترة 1969 – 1970 في الاردن ، حيث تجلت ازمة الانظمة العاجزة في ذروة تفاقمها ، هذه الانظمة التي يدعوننا بدون حياء او خجل منظرو الاستسلام في هذه الايام لان نصوغ واياها برنامج عمل مشترك ، والتي بلغت أوضاعها بعد الهزيمة حداً اصبح معه من الصعب جدا على الطبقات السائدة ابقاء فرض هيمنتها ، اذ حطمت الهزيمة اجهزتها القمعية ومرغت معنوياتها وحيثيات وجودها بوحل الحضيض ورفعت تذمر الجماهير واستيائها العفوي الى اوجه ، ارتفاعا تعاظمت معه معنويات الجماهير واستعدادها للخلاص من تسلط البرجوازيين وتحكمهم بمقدراتها ... لقد سادت في تلك الفترات اوضاع ثورية ، بيد ان الثورة لم تحدث ، لماذا ؟ لان الثورة لا تنشأ عن كل وضع ثوري، انما تنشأ فقط اذا انضم الى جميع التغيرات الموضوعية المذكورة انفا تغير ذاتي ، واعني به قدرة الطبقة العاملة الثورية على القيام باعمال جماهيرية قوية بحيث انها تحطم « أو تصدع » الحكم القديم الذي لن « يسقط » ابدا حتى في فترة الازمات ، ان لم «يعمل على اسقاطه » .

تلك هي المفاهيم الماركسية عن الثورة ، وقد طورها الماركسيون واقروها بلا جدال مرارا عديدة وعديدة[132] ولولا ذلك التطوير والتطبيق الخلاق لتلك المفاهيم على الظروف الخاصة، لا كانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى قد قامت ، ولما كانت الثورات الاشتراكية في البلدان الاشتراكية الاخرى قد تحققت !

يبدو ان وقت السيد جواد لا يسمح له بمطالعة تراث الماركسية – اللينينية ربما لانشغاله بمتابعة نمو (درجات التطور) – ولو اسعفه وقته لاطلع على نداء الاممية الشيوعية (الكومنترن) الى شعوب الشرق لحضور مؤتمر باكو ، وادرك ان (درجات التطور) هذه ، حجة قديمة ، قدم الاممية الثانية ، وقد فندها لينين ومن بعده ستالين وماوتسي تونع وسائر المفكرين الماركسيين اللينينيين الثوريين . وما دام الجهل مطية من ركبها ذل ومن صحبها ضل فاننا ندعو السيد جواد لان يطالع معنا بعض فقرات ذلك النداء ليتأكد من ان ذريعة (درجات التطور) قد اصبحت ، ذريعة بالية ، لدرجة ان الاستشهاد بها لتبرير تقصير حزب شيوعي او عجزه عن (التصدي لمهام الثورة وقيادة الحرب) في بلداننا ، يعد فضيحة اذا صدر عن شيوعيين :

---

[128] ستالين : المرجع السابق ص43

[129] لينين : .الاشتراكية والحرب ص 51

[130] لينين : الاشتراكية والحرب ص 52

[131] لينين : افلاس الاممية الثانية ص 12

[132] لينين – المرجع السابق ص 12 – 13

لتوضيح الاسباب التي جعلتها تقرر عقد مؤتمر لعمال وفلاحي الشعوب المستعبدة ، تقول الاممية الثالثة (الكومنترن) : « ان عمال وفلاحي اوروبا واميركا ، المناضلين ضد الرأسمالية، يتوجهون اليكم لانكم مثلهم ترزحون تحت نير الرأسمالية العالمية ، ولانكم مثلهم مدفوعون للنضال ضد ناهبي ثروات العالم ، ولانكم بالتحاكم مع العمال والفلاحين الاوروبيين والاميركيين تعجلون في القضاء على الرأسمالية العالمية وتضمنون تحرر العمال والفلاحين في العالم أجمع »[133] .

[133] المؤتمر الاول لشعوب الشرق الذي انعقد قي باكو 1 – 8 ايلول 1921 ترجمة فواز طرابلسي – دار الطليعة – ص 11

و بعد هذا التوضيح ، تستطرد الاممية الثالثة في شرح المهمة التي ينعقد المؤتمر من اجلها ، فتقول : يا عمال وفلاحي الشرق! وحدوا صفوفكم ، أقيموا سلطة العمال و الفلاحين ، تسلحوا وانضموا الى جيش العمال والفلاحين الروس ، فتتغلبون على الرأسماليين الانكليز والفرنسيين والاميركيين ، وتتحررون من مضطهديكم ، وتنالون الحرية ، فتؤسسون جمهورية للشغيلة حره و مسالمة ، وتستخدمون ثروات بلدكم في بلدكم ولمصلحتكم و مصلحة البشرية الكادحة جمعاء ، المستعدة ابدا لمد يد العون لكم . نريد ان نحدثكم عن كل هذا في المؤتمر »[134] .

لاحظوا ان المهمة المطروحة على المؤتمر الذي دعت اليه اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية و الذي تم عقده في باكو ابتداع من 1 – 8 /9/1921 ، هي مهمة اقامة سلطة العمال والفلاحين ، وتأسيس الجمهوريات السوفياتية. ومما يزيد من اهمية هذا الموضوع الذي بنت الاممية الشيوعية نهجها و سياستها عليه هو ان الاممية تخاطب عمال وفلاحي ايران وارمينيا ، وتقتصر نداءها بالنسبة لتركيا والعراق وسوريا والجزيرة العربية على الفلاحين فقط، لان هذه البلدان وخاصة العراق وسوريا والجزيرة العربية، لم يكن وجود الطبقة العاملة مبلورا فيها انذاك لدرجة تسمح باعتماد النضال الثوري عليها .

اردت من هذا المثل ان اجلب انتباه السيد جواد الى ان الاممية الثالثة الشيوعية تطرح على جماهير هذه البلدان مسألة الثورة واقامة السلطة السوفياتية ومن اجل تحقيق هذه المهمة فانها تدعوها لحضور المؤتمر ، رغم ان (درجات التطور) في هذه البلدان كانت متخلفة جدا لحد ان المقارنة بين تلك الاوضاع و بين الاوضاع التي تعيشها بلداننا اليوم غير واردة . فهل كانت الاممية الشيوعية تحلم بقدرات الجماهير كما يحلم جورج حبش اليوم ، على بعد المسافة بين الحلمين ؟

3 – ان فهم السيد جواد لارتباط الثورة الوطنية الديمقراطية بالثورة الاشتراكية ، يتناقض مع اللينينية تماما ، رغم انه يلبس برقعا لينينيا منذ البدء فهو يرى ان المهمات الوطنية الديمقراطية موكول ادائها للجناح البرجوازي اليميني حليف الامبريالية الجديد ، بينما المهمات الاشتراكية التي لم يحن او ان المباشرة بها بعد هي مهمات (الحركة الديمقراطية والثورية) .

ان هذا الامر واضح من قوله : « ان حرب تشرين اكدت ان استعدادات الجماهير للعطاء مهما بلغت درجتها لا تستطيع التحليق خارج القوانين التي تحكم مواقع و ادوار جناحي حركة التحرر العربية في الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية »[135]

من هذا الكلام يتضح ان القوانين التي يقصدها السيد جواد هي القوانين الموضوعية و ليست اية قوانين اخرى ، [136]

ان لم يسمها ، اي القوانين التي تحكم مسار الثورة الوطنية الديمقراطية المرتبطة بالثورة الاشتراكية من جهة ، فاذا ربطنا هذا كله بقوله «...لا نستطيع التحليق خارج القوانين – الموضوعية طبعا – التي تحكم مواقع و أدوار جناحي حركة التحرر العربية في الثورة الوطنية الديمقراطية و الثورة الاشتراكية ... »[137] فاننا نستطيع القول انه ينطلق من تصور فحواه : بما أن المهمات الوطنية والديمقراطية هي مهمات بورجوازية في هذه المرحلة ، فلا بد ، اذن ، من ان يكون اداؤها منوطا ب« الانظمة » التي يقول عنها انها «قيادة وطنيةرسمية» لحركة التحرر الوطني العربية بينما يكون اداء المهمات الاشتراكية موكول للقوى الديمقراطية والثورية من جهة اخرى!

ان فهم السيد جواد هذا ، يذكرنا ، بفهم اولئك الاغبياء مما يسمونهم ، علماء، الذين سمحوا لانفسهم باطلاق مفهوم التطور اللارأسمالي الذي هو مفهوم ماركسي – لينيني ، على التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حققتها ثورة ال 23

---

134 المرجع السابق ص 14

135 جواد : المرجع السابق .

136 للقوانين حقيقتين ، قوانين موضوعية وقوانين غير موضوعية . والقوانين غير الموضوعية ، هي تلك التي تسنها وتشرعها الحكومات وتحدد بموجبها الحقوق والواجبات وفقا لمصالح الطبقة او الطبقات السائدة ، وهذه القوانين لا تتصف بطابع موضوعي ، لانها من صنع الناس ، يضعونها بانفسهم وتلغى من قبلهم . اما القوانين الموضوعية كقوانين الطبيعة والمجتمع ، فهي قوانين ليست من صنع البشر ولا يستطيع الانسان أن يغيرها او يلغيها ، ولكنه يستطيع ان يدركها ، وان يغير الظروف الموضوعية اللائمة لعمل بعضها وبذلك يكفها عن العمل لتحل محلها قوانين جديدة تحكم اتجاه تطور حركة الواقع الجديد . وهي اي القوانين الموضوعية ، قوانين فلسفية بالاضافة الى كونها طبيعية كقانون الجاذبية الذي هو قانون الطبيعة والوعي الاجتماعي المتعلق بالوجود الاجتماعي، وهو قانون التاريخ ، ان العالم الموضوعي محكوم بقوانين كثيرة منها ما هو خاص بالطبيعة غير الحية ومنها ما يختص بالعالم العضوي للمجتمع والفكر . والقانون الموضوعي ، هو الرابطة العامة بين الظواهر .

137 جواد المرجع السابق .

المصرية وعلى غيرها من الثورات الوطنية الديمقراطية التي تقودها البورجوازية ، متناسين ان معلمي الطبقة العاملة ، ماركس وانجلز قد وضعوا شروطا موضوعية وذاتية لتحقيق التطور اللارأسمالي في البلدان المتخلفة التي تعيش اوضاعا شرط حدوث الثورة الاشتراكية في البلدان الرأسمالية المتطورة وحدوث الثورة في البلدان المتأخرة واتباعها سياسة اشتراكية اي ذات السياسة التي تتبعها البلدان الاشتراكية . فاين هذه الشروط من ثورات تقودها طبقات تلتزم سياسة الحياد التي هي سياسة انتهازية وسطية موجهة ضد الاشتراكية وضد الطبقة العاملة وسائر الجماهير التي تحقق الاشتراكية مصالحها وامالها ؟ أيمكن لاهل النظام المصري والانظمة التي على شاكلته ، ان يحققوا مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، تحقيقا يؤدي الى انجاز مهمات الثورة الاشتراكية ؟
ان تحقق هذا الامر وصدق السيد جواد وتأكدت تخرصاته وافتراءاته ، فان كل مضامين مباديء وقواعد النظرية الماركسية – اللينينية العامة لا تعود مضامين علمية ، بحكم تحقق نقيضها ، من جهة ولان الاستنتاجات العلمية العامة لا يصح ان ينقضها التطور وان جاز ان يعدل جزئيا فيها ، بل ان علميتها وموضوعيتها تتأكد بشهادة التطور والوقائع التي ينبغي ان تجيء مؤكدة لها وليست ناقضة من جهة اخرى ! ان الفصل بين مهمات الثورتين بهذا الشكل ، فصل خطأته مسيرة التطور في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث .

ومما يؤكد كون السيد جواد يفصل بين الثورتين الديمقراطية والاشتراكية فصلا يتعارض ويتناقض مع اللينينية التي على اساسها قامت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وسائر الثورات الاشتراكية الاخرى ... تقول ان الذي يؤكد نظرة السيد جواد الخاطئة هذه ، هو قوله : « .... و بالرغم من الشروط الشديدة الخصوصية التي تجعل منالمسألة الفلسطينية على رأس مهمات جناحي الحركة و مواجهة اسرائيل و تربط عضويا بمعضلات الثورتين الوطنية والاشتراكية ، فان الحرب الاخيرة قد اكدت موضوعات ودروس لتمييز المهام الكفاحية وخصائص مراحلها »[138] .

من هذا القول يتضح ان القضايا القومية ، هي من اختصاص الاحزاب البورجوازية ، أما الاحزاب الشيوعية فمهماتها مقصورة على التصدي لانجاز المهمات الاشتراكية ، باستثناء القضية التي اكتسبت شروطا خصوصية جعلت منها مهمة (لجناحي الحركة – ومواجهة اسرائيل) وربطتها عضويا بمعضلات الثورتين الوطنية الديمقراطية والاشتراكية ... ومع هذه الخصوصية ، ورغم هذا الاستثناء الذي تتميز به القضية الفلسطينية فان الحرب الرابعة (قد اكدت موضوعات و دروس لتمييز المهام الكفاحية وخصائص مراحلها) .

لو كان السيد جواد قاضيا في محكمة عالمية ، لاصدر حكمه بادانة ماركس و انجلز لانهما قالا بامكانية تحقيق التطور اللارأسمالي بقيادة الاشتراكيين ، ولاصدر حكما بتجريم لينين وستالين وديمتروف وماوتسي تونغ وكيم ايل سونغ وجميع اعضاء الهيئات التنفيذية واعضاء المؤتمرات للاممية الثالثة ،واعضاء الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية الذين اعتنقوا النظرية اللينينية القائلة ، بامكان الطبقة العاملة وطلائعها الشيوعية ان تحدث وتقود الثورة الواطنية الديمقراطية ، ولانهم ناضلوا ضد فصل معضلات الثورتين الوطنية الديمقراطية و الاشتراكية ونجحوا في تصفية الجناح البورجوازي الذي يحرف السيد جواد النظرية اللينينية ليبرر سير (القوى الديمقراطية و الثورية) بركابه ، تماما مثلما فعل اولئك العلماء الاغبياء الذين اطلقوا مفهوم التطور اللارأسمالي على الثورات الوسطية من اجل اضفاء صفة الاشتراكية على الانظمة البرجوازية !

---

138 جواد المرجع السابق .

لا يمكن تحول الثورة الوطنية الديمقراطية الى
الاشتراكية بدون توفر القيادة الاشتراكية البروليتارية

ان الحرب برأي اللينيني الذي يتجاهل لينين . قد اكدت موضوعات ودروس تنقض النظرية اللينينية ، التي تؤكد على ترابط وتداخل مهام الثورتين ، تأكيدا يجعل قيادة الطبقة العاملة للثورة الاولى شرط اساسي لانتقالها للثورة الثانية ، وبدون هذا فان استكمال مهمات الثورة الاولى لن يكون ممكنا اطلاقا اذ سترتد الثورة وتنحرف عن مسارها التاريخي الطبيعي ، لتعود القهقري وترتمي باحضان الرجعية و الامبريالية .

يبدو ان لينين كان يحلق خاج القوانين الموضوعية ، حين حدد مهمة ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بقوله :

(ان مهمة الثورة في روسيا ، المباشرة والقريبة كانت مهمة ديمقراطية برجوازية قوامها القضاء على بقايا القرون الوسطى ، وازالتها الى الابد ،وتنظيف روسيا من هذه البربرية من هذا العار ، مما كان يعيق الى ما لا حد له كل ثقافة وكل تقدم في بلادنا)[139]

وفي وقت عجز فيه المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، عن فهم العلاقة بين الثورة البورجوازية الديمقراطية و الثورة البروليتارية الاشتراكية ، فان البلاشفة ادركوا هذه الموضوعية ، ادراكا اكدته الوقائع التي هي اشياء عنيدة .

يقول لينين : وحول موضوعية العلاقة بين الثورتين فقد «تأكدت كليا خلال اربع سنوات ، صحة مفهومنا للماركسية وصحة اعتبارنا لتجربة الثورات الماضية .ولقد سرنا ، كما لا احد ، بالثورة البرجوازية الديمقراطية الى النهاية . وبكل ادراك وبخطى ثابتة ودون اي انحراف نسير الى الامام ، نحو الثورة الاشتراكية عارفين انها غير منفصلة عن الثورة البرجوازية الديمقراطية بسور صيني ، عارفين أن النضال وحده هو الذي سيقرر مقدار التقدم الذي سنتمكن من تحقيقه « في نهاية الامر » مقدار القسم الذي سننفذه من مهمتنا اللامتناهية الكبرى ، مقدار النصيب الذي سنوطده من انتصاراتنا »[140] .

وبعد ان يعدد الانجازات التي حققتها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، التي يتجاهلها المناشفة والاشتراكيون ، الذين يصفهم لينين بالجبن والثرثرة ... بعد ذلك يقول « ولكنه توطيدا لمكتسبات الثورة البرجوازية الديمقراطية لصالح شعوب روسيا ، كان يتعين علينا ان نمضي الى ابعد . وهذا ما فعلناه . . .فقد حللنا قضايا الثورة البرجوازية الديمقراطية عرضا ، خلال السير ، بوصفها « نتاجا ثانويا لعملنا الرئيسي والحقيقي ، لعملنا الثوري البرليتاري الاشتراكي . فالاصلاحات ، كما قلنا دائما ، نتاج ثانوي للنظال الطبقي الثوري . والاصلاحات البرجوازية الديمقراطية ، كما قلنا و اثبتنا بأفعالنا – نتاج ثانوي للثورة البروليتارية ، اي الاشتراكية . ونقول بالمناسبة ان جميع احزاب كاوتسكي وهلفردينغ ومارتوف وتشيرنوف وهيلكويت ولونغة وماكدونالد وتوراتي وسائر ابطال الاممية «الثانية والنصف » لم يستطيعوا ادراك هذه العلاقة بين الثورة البرجوازية الديمقراطية والثورة البروليتارية الاشتراكية ان الاولى تتحول الى الثانية . والثانية تحل ، عرضا ، قضايا الاولى . والثانية توطد عمل الاولى . والنضال وحده، هو الذي يقرر الى اي حد تنجح الثانية في تجاوز الاولى»[141] .

وقد اصبح من المسلمات ، القول ، بان نجاح الثورة الاشتراكية في تجاوز الثورة الوطنية الديمقراطية ، مرهون بطبيعة قيادتها البروليتارية . فما لم تتوفر قيادة اشتراكية بروليتارية للثورة الوطنية الديقراطية فان مسألة تحولها الى الثورة الاشتراكية مسألة مستحيلة ، مهما امضى المنظرون امثال السيد جواد من وقت في جوامع الوطن العربي وكنائسه ومهما رفعوا ايديهم واصواتهم مستصرخين السماء لتحقيق احلامهم ، فلن تتحقق ابدا .

يقول لينين : « ان البروليتاريا تناضل من اجل اسقاط البرجوازية الامبريالية عن طريق الثورة ، بينما تناضل البرجوازية الصغيرة من اجل « اتقان » الامبريالية عن طريق الاصلاح ، من اجل التكيف عليها والخضوع لها »[142] .

---

[139] لينين : لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر – المختارات م3ج2 ص 300 ، 303 على التوالي .

[140] لينين : لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر – المختارات م3ج2 ص 300 ، 303 على التوالي .

[141] لينين : المرجع السابق ص 305 ، 306 .

[142] لينين – الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي – المختارات باللغة العربية م3 ج 1 ص 147.

ويقول ايضا :

(ان كاوتسكي لا يفهم اي شيء على الاطلاق من هذه الحقيقة وهي ان ما يميز الماركسي الثوري عن المبتذل و البرجوازي الصغير ، هو ان الماركسي الثوري يعرف كيف يروج بين الجماهير الجاهلة لفكرة ضرورة الثورة التي تنضج ، ويقدم البرهان على حتمية نشوبها ، ويوضح فائدتها للشعب ، ويحضر لها البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستثمرة)[143]

بوسعنا ان ننقل الى صفحات هذا المقال عشرات الفقرات التي تتحدث بوضوح عن القضية التي يبتذلها السيد جواد حين يختلق صيغا عن الثورة الوطنية الديمقراطية والقوانين التي تحكمها وتربطها بالثورة الاشتراكية ... صيغا هي الافتراء بعينه على كل مضمون ومحتوى النظرية اللينينية عن تحول الثورة الوطنية الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية .انه يدعي بأن (الحرب الاخيرة قد اكدت موضوعات ودروس لتمييز المهام الكفاحية وخصائص مراحلها ...) تمييزا اكد على (ان استعدادات الجماهير العربية والفلسطينية العالية للعطاء ... لا يمكن ان يغيّر شيئا ....) لان (المسالة هي – ليست – مسألة استعدادات وقناعات) وانما هي مسألة (انجاز هدفين يرتبطان بمرحلتين تاريخيتين ويتصدى لانجازها جناحا حركة التحرر العربية بقيادتين مختلفتين في الطبيعة والبرنامج والمهمات والاشكال الكفاحية ... ٠) [144] .

ان قوله هذا هو التحريف بعينه ، انه منهج كاوتسكي منشفي اصلاحي مبتذل !

منذ متى كانت هناك « فواصل تاريخية » بين الثورتين في بلداننا ، بالشكل الذي يتحدث عنه اللينيني الذي يحرف لينين وان لم يكن هذا هو التعبير عن نهج الكاوتسكيين واليرنشتينيين والمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، فما هو اذن ، وكيف يكون الارتداد والتحريف للنهج اللينيني الثوري ؟

أن الحديث عن مرحلتين تاريخيتين ، يكون حديثا صحيحا حينما يراد منه التفريق وعدم الخلط بين مهمات الثوريين ، ولكنه يكون خاطئا عندما يقصد به الفصل بين الثورتين نفسيهما . وهناك فارق كبير بين الامرين . فمهمات كل من الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، تتميز عن بعضها بعضا تميزا يؤدي تجاهله الى الخلط بين المهمات . بينما نجد ان هذه المهمات المتميزة عن بعضها البعض تتداخل وتتصل مع بعضها . وعلى سبيل المثال فان عملية تحويل الريف ديمقراطيا تتخذ اشكالا مختلفة ومتنوعة ومتداخلة . فمن الملكيات الفلاحية الصغيرة عن طريق توزيع الارض على الفلاحين الى الجمعيات التعاونية ثم المزارع الحكومية. ففي الاولى رغم انها نقيض للاقطاع ولكنها ايضا تولد العلاقات الرأسمالية اي تولد نقيض الاشتراكية في الريف بينما عن الثانية تنشأ العلاقات التعاونية في الريف ، وهي شكل متقدم لخلق الاساس الاقتصادي للبناء الاشتراكي . ولكنها مع ذلك تبقى ضمن حيز العمل الديمقراطي . والى جانب هذين النوعين من الاشكال نجد النمط الثالث يقوم على اساس المبدأ الاشتراكي القائل من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله ، وعن مثل هذه المزارع تنشأ العلاقات الاشتراكية في ظل السلطة البروليتارية الى تتصدى لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية، فهناك اذن تمييز بين المهمات ولكن مع هذا التمييز هناك تداخل بين مهام الثورتين كما لاحظنا بحيث ان انجاز مهمات الثورة الاولى يؤدي بالضروره الى المباشرة في انجاز مهمات الثورة الثانية عندما يتوفر شرط القيادة الاشتراكية ، التي تعرف المهمات الديمقراطية وحدود اتصالاتها بالمهام الاشتراكية وعلى سبيل المثال ، فان توزيع الارض على الفلاحين ، على الرغم من انه عمل هام جدا ، لانه يوجه ضربة للاقطاعيين والملاك العقاريين ، ولكنه على اهميته ، يمكن ان يكون خطوة على طريق توفير الاساس المادي للثورة الاشتراكية ، كما

يمكن ان يكون خطوة من اجل توسيع اطار البرجوازية الصغيرة والملكية الفردية المجزأة . انه خطوة على طريق توفير الاساس للاشتراكية عندما تقوم به السلطة الاشتراكية ، لانه لا يشكل ضربة للاقطاع فقط وانما نكسب به ثقة الفلاحين كسبا يمكننا من ان ننقلهم الى حيز التعاونيات لتحل العلاقات التعاونية محل العلاقات الفردية الرأسمالية ، و بذلك نضمن تحويلهم ، - فيما بعد – الى عمال زراعيين في مزارع الدولة .

من هنا يتضح ان تداخل مهام الثورتين واتصالهما ببعض لن يتحقق الا اذا توفرت القيادة الاشتراكية . وباستكمال انجاز المهمات الديمقراطية تنتقل الثورة الى الاشتراكية .

يقول لينين :

---

[143] المرجع السابق ص 156 .

[144] جواد : المرجع السابق .

«بعد ان انجزت البروليتاريا في روسيا الثورة البرجوازية الديمقراطية بالتعاون مع الفلاحين بوجه عام ، انتقلت نهائيا الى الثورة الاشتراكية اذ نجحت في شق الريف . واجتذاب البروليتاريين وانصاف البروليتاريين الريفيين الى صفوفها ، وحشدهم ضد الكولاك والبرجوازية ، بما فيها البرجوازية الفلاحية»[145] .

ان البروليتاريا التي انجزت مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية التي يتحدث عنها لينين كانت اقلية بالنسبة لمجموع سكان روسيا القيصرية . ولو انها حاولت ان تباشر فور قيام الثورة في عام 1917 ، تطبيق الاشتراكية (لكانت محاولتها محاولة اقلية لفرض ارادتها على الاغلبية، لكانت اقترفت سخافة نظرية ، لكانت محاولتها دليلا على انها لم تدرك ان الثورة الفلاحية العامة ما تزال بعد ثورة برجوازية ، وانه يستحيل في بلد متأخر تحويلها الى ثورة اشتراكية ، دون جملة من المراحل الانتقالية ، من الدرجات الانتقالية)[146] .

(مع الفلاحين. الى نهاية الثورة البرجوازية الديمقراطية، مع الفئة الفقيرة ، البروليتاريا وشبه البروليتاريا ، من الفلاحين الى الامام نحو الثورة الاشتراكية! تلك كانت سياسة البلاشفة ، وكانت تلك السياسة الماركسية الوحيدة)[147] .

(ان البلاشفة بالذات هم الذين ميزوا تمييزا دقيقا بين الثورة البرجوازية الديمقراطية و الثورة الاشتراكية : فبالسير بالاولى الى النهاية ، فتحوا الباب للثانية . تلك هي السياسية الثورية الوحيدة ، السياسية الماركسية الوحيدة)[148] .
ان الذين يحملون بتحقيق انفصال الثورتين في بلداننا على امل ان تقوم انظمة رأسمالية عربية تتيح للنهج الاصلاحي تكريس ليبراليته يكشفون الدافع وراء حماسهم للاعتراف بالكيان الصهيوني ليكون نموذجا ملموسا لامكانية اقامة انظمة رأسمالية ليبراليته يكشفون الدافع وراء حماسهم للاعتراف بالكيان لان تقتدي به في تطورها اللاحق في المرحلة القادمة .

فان كان هذا الغرض وراء التهالك على الاعتراف باسرائيل فانه دليل جديد يضاف الى الادلة التي كرستها مسيرة نصف القرن الماضي . التي تؤكد ليس على مناقضة المنهج اللينيني على صعيد الممارسة العملية فقط . وانما تؤكد ايضا على مدى تخلف هذه العقلية التي تجعل من دورها عائقا يحول دون اداء الطبقة العاملة العربية لدورها القيادي في حركة نضال شعبنا من اجل التحرير و الديمقراطية و الاشتراكية و الوحدة .

يقول ستالين :

(ان ابطال الاممية الثانية كانوا يؤكدون – وما زالوا يؤكدون ان بين الثورة الديمقراطية البرجوازية من جهة ، والثورة البرويلتارية من جهة اخرى ، هوة او على كل حال ، سور مثل سور الصين يفصل احداهما عن الاخرى بفترة من الزمن طويلة كثيرا او قليلا ، تعمل فيها البرجوازية التي تصل الى الحكم على تطوير الرأسمالية ، بينما تكدس البروليتاريا قواها وتستعد « للنضال الحاسم » ضد الرأسمالية ، ويقدرون هذه الفترة ، عادة بعشرات السنين ، ان لم يكن باكثر من ذلك . فهل بنا من حاجة الى البرهان على ان « نظرية » سور الصين هذه هي ، في ظروف الاستعمار ، خالية من كل معنى علمي وانها ليست ، ولا يمكن ان تكون ، سوى وسيلة لتغطية ولتزيين الشهوات المعادية للثورة لدى البرجوازية ؟)[149]

لم يكن صدفة ان يعتبر لينين منذ عام 1905 في كتابه الهام خطتا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ان الثورة الديمقراطية البرجوازية والثورة الاشتراكية ، كحلقتين من سلسلة واحدة ، كلوحة واحدة جامعة لمدى الثورة :

(ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالثورة الديمقراطية الى النهاية بان تضم اليها جماهير الفلاحين لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة ، وشل تذبذب البرجوازية . وينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالثورة الاشتراكية بان تضم اليها جماهير العناصر شبه البروليتارية من السكان لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة .

---

[145] لينين - المرجع السابق ص 172

[146] لينين - المرجع السابق ص173

[147] لينين - المرجع السابق ص 181

[148] لينين - المرجع السابق ص 179

[149] ستالين – اسس اللينينية ص 43 .

تلك هي مهمات البروليتاريا . هذه المهمات التي تعرضها جماعة « الايسكرا » الجديدة بشكل بالغ الضيق في جميع محاكماتها وجميع قراراتها عن مدى الثورة)[150]

(يترتب علينا أن نضع امام الشعب كله مهمات الانقلاب الديمقراطي باكثر ما يمكن من الاتساع و الجرأة و المبادرة . واستصغار هذه المهمات انما يعني في حقل النظرية تحويل الماركسية الى كاريكاتور ، وتشويهها على طريقة التافهين الضيقي الافق ، ويعني في حقل السياسة العملية ، تسليم قضية الثورة الى ايدي البرجوازية التي ستنصرف حتما عن انجاز الثورة الى النهاية . ان المصاعب التي تعترض طريق انتصار الثورة التام كبيرة جدا . ولن يكون في مستطاع اي انسان ان يلوم ممثلي البرجوازية ، على صخرة جهل الجماهير ، على صخرة خيانة جهودهم على صخرة مقاومة الرجعية ، على صخرة خيانة البروليتاريا اذا ما بذلوا كل ما في وسعهم واذا ما تحطمت كل انسان – والبروليتاريا الواعية اولا – سيشجبون الاشتراكية – الديمقراطي اذا بترت العزيمة الثورية للانقلاب الديمقراطي ، اذا بترت الحماسة الثورية خوفا من الانتصار ، خوفا من انصراف البرجوازية)[151] .

---

[150] لينين – م1ج 2 ص 105

[151] لينين : المرجع السابق ص 181

الفصل الثالث

الفرق بين الهدف الستراتيجي والشعار
والتطفل على المفاهيم العلمية

- الشعار ... و الهدف و الاحكام الاعتباطية
- دعاة الاستسلام ينادون باسقاط شعار تحرير فلسطين كما اسقطوا شعار الاطاحة بالرجعية الاردنية

الشعار ... والهدف
والاحكام الاعتباطية

قد يبدو عنوان هذا القسم من هذه المقالة غريبا ، بيد ان ان مطالعته كفيلة بأن توضح هذه الغرابة . ان السيد جواد سمح لنفسه بان يجعل من احكامه الاعتباطية صيغا نظرية لتعليم الاخرين !! لناحذ مثلا على ذلك :

تحت عنوان (النتائج المترتبة على تعيين و تحليل معطيات تشرين) يناقش السيد جواد قول الرفيق حبش : ان معطيات تشرين الايجابية قد اكدت (صحة استراتيجية العمل الفلسطيني و على رأسها الشعار الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين)[152] مناقشة تتركز حول تخطئة تعبير (الشعار الاساسي) الذي اطلقه الرفيق حبش على (هدف المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين) فالسيد جواد يتساءل باستغراب و (هل ان هدف المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين هو «شعار» ام هدف كفاحي استراتيجي لحركة التحرر الفلسطينية – و هل لا يوجد فرق بين الهدف الستراتيجي و الشعار – التي بدأت كفاحا مسلحا على طريق تطويره الى حرب تحرير شعبية فلسطينية طويلة ...الخ !؟[153] ثم يستطرد منتهيا الى القول : « من هنا فان حرب تشرين قد اثبتت ان هدف تحرير فلسطين هو هدف استراتيجي بعيد الامد ، وليس شعارا ابدا »[154] ثم يضيف الى قوله هذا هامشا يحدد فيه مضمون الشعارات وطبيعتها تحديدا اعتباطيا ينفي فيه وجود شعارات استراتيجية او غير سياسية . يقول جواد :

(الشعار هو صياغة وتكثيف سياسي يتصدى لمعالجة معضلة سياسية قائمة في مرحلة او شوط من اشواط الصراع بهدف تعبئة القوى على اساسه لتغيير موازين القوى وانجاز المهمة المحددة . وحين الفشل في تغيير موازين القوى وانجاز مهمة الشعار يرتد الى الوراء ليتقدم آخر اكثر ملائمة وتعبيرا عن موازين القوى والامكانات القائمة)[155] .

من كلام السيد جواد هذا . يتضح ما يلي :

أولا – أن الشعارات تتعارض مع الاهداف الاستراتيجية لوجود فرق بين الهدف الستراتيجي والشعار ، ومعنى قوله هذا ان الشعارات لا يمكن ان تكون الا تكتيكية .
ثانيا – ان الشعارات لا يمكن ان تكون الا مؤقتة وسياسية تعالج (معضلة سياسية قائمة في مرحلة او شوط من اشواط الصراع ... الخ) . اي لا يصح اطلاق تعبير شعار على معضلة غير مؤقتة وغير سياسية .

ولو تساءلنا عن مدى صحة هذا التحديد فلن نجد جوابا يؤكد مزاعم السيد جواد ، لنرى :

من المعروف ان معلمي الطبقة العاملة ، ماركس وانجلس قد اطلقا تعبير شعار على الدعوة لوحدة الحركة العمالية ، وهي هدف استراتيجي سعيا اليه سعيا عبرا عنه بشعار « يا عمال العالم ، اتحدوا » ومعلوم ان هدف وحدة الطبقة العاملة العالمية يتجاوز في بعده ومدى تحقيقه هدف المجتمع الفلسطيني الديمقراطي . ومن بعدهما وجدت الاممية الثالثة الشيوعية ضرورة رفع شعار اخر الى جانبه يعبر عن هدف مكمل للهدف السابق فرفعت شعار (يا عمال العالم ويا ايتها الشعوب المضطهدة اتحدوا) تعبيرا عن وحدة فصائل حركة التحرر في المستعمرات واشباه المستعمرات مع وحدة الطبقة العاملة العالمية وان هذه الوحدة هي هدف استراتيجي لمرحلة استراتيجية طويلة من عمر الثورة الاشتراكية العمالية . فبدعم بروليتاريا البلدان المتقدمة تستطيع حركات التحرر الوطني ان تحقق انتصارها على الامبريالية وحلفائها . ومنذ انشقاقها في

---

[152] حبش : مجلة شؤون فلسطينية العدد 30 ص 48

[153] جواد : المرجع السابق ص 48

[154] جواد : المرجع السابق ص 49 .

[155] جواد : المرجع السابق ص 48 .

عام 1836 عن « عصبة المنفيين او المنبوذين » رفعت « منظمة العادلين » اي « عصبة الشيوعيين » شعار « كل الناس اخوان» وكان هذا الشعار مطبوعا على بطاقات العضوية الى جانب شعارات (المساواة والاخاء ، والعدالة) وفي المؤتمر الثاني للعصبة ، خاض ماركس وانجلس نضالا فكريا من اجل استقطاب المؤتمرين حول المباديء الاممية الجديدة ، فنجحا بتأييد جماعي وكلفا بتحرير البيان الذي عرف بعد صدوره ببيان
الحزب الشيوعي ، وبذلك (ابدل الشعار القديم : كل الناس اخوة . بصرخة حرب جديدة : يا عمال العالم ، اتحدوا)[156]
اي بشعار جسد الطابع الاممي لنضال البروليتاريا (وبعد سبعة عشر عاما كان هذا الشعار يملأ الدنيا كشعار للاممية الاولى ، وقد خطته اليوم البروليتاريا المناضلة على لوائها في كل البلدان)[157] .

أما الحزب الشيوعي الالماني فقد ادرج تحت عنوان (شعار: يا بروليتاريو العالم اجمع ، اتحدوا !) [158] عددا من المطالب عبر عنها بعدد من الشعارات ابتدأت بشعار وحدة الامة الالمانية واعطاء البالغين سن الواحد و العشرين حق الانتخاب والترشيح ومنح نواب الشعب اجوارا مقابل اتعابهم ، و تسليح الشعب والغاء الاعباء الاقطاعية عن كاهل الفلاحين بدون تعويض . وتأميم الارض واخضاع الفلاحين لسلطة الدولة بدلا من الخضوع لسلطة الاقطاعيين ... وانتهت بتعميم التعليم المجاني للشعب .

اما اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين فقد اختتمت رسالتها الاولى الموجهة الى اعضائها في المانيا عام 1850 بشعار (الثورة الدائمة)[159] .

واعلن لينين من أكثر الذين استخدموا تعبير شعار ، اذ اطلقه على اهداف و معضلات و مهمات مختلفة تكتيكية و ستراتيجية ، سياسة و تنظيمية و عسكرية . فتحت عنوان « حول شعار الولايات المتحدة الاوروبية » يقول البيان الصادر عن المجلس الحزبي العام لفروع حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي الروسي : « ... لم يؤيد البيان الولايات المتحدة الاوروبية الجمهورية ، وحسب ، انما اشار ايضا بخاصة الى ان هذا الشعار يظل شعارا كاذبا اخرق ، اذا لم يتم اسقاط الملكيات
الالمانية والنمساوية والروسية عن طريق الثورة »[160] .

لاحظ ان لينين والمجلس الحزبي العام لم يروا رأي السيد جواد في ان الاهداف الستراتيجية لا يعبر عنها بشعارات . ان هدف (اسقاط الملكيات الالمانية والنمساوية والروسية عن طريق الثورة) ، هو هدف ستراتيجي كبير ، مثله مثل هدف (الولايات الاوروبية الجمهورية) كلاهما كان شعارا ، شأنهما شأن اي هدف يطرح في سوح النضال .

ويطلق لينين تعبير « شعار » على « الثورة الاشتراكية» التي هي هدف ستراتيجي اكبر و ابعد من هدف (المجتمع الديمقراطي الفلسطيني) أو (الولايات المتحدة الاوروبية الجمهورية) ، حين يقول :

« من الخطأ اطلاقا الاعتراض على هذه الطريقة في طرح المسألة في حدود تقدير سياسي لهذا الشعار ، فالقول مثلا ، انه يكسف ، او يضعف ... الخ .. شعار الثورة الاشتراكية ، فان التحولات السياسية باتجاه ديمقراطي حقا وبالاحرى الثورات انها بالعكس ، تقرب هذه الثورة ابدا ، موسعة اساسها ،مجتذبة الى النضال الاشتراكي فئات جديدة من البرجوازية الصغيرة والجماهير نصف البروليتارية »[161] .

ثم يستطرد لينين مؤكدًا على انه « اذا كان شعار الولايات المتحدة الاوروبية الجمهورية قد صيع بالارتباط مع دك الملكيات الروسية ، عن طريق الثورة ، واذا كان ، لهذه السبب ، لا يمكن اطلاقا المساس بهذا الشعار و الاعتراض عليه بوصفه شعارًا سياسيا ، فما تزال ثمة مسألة على جانب كبير من الاهمية ، هي مسألة محتوى هذا الشعار و شأنه الاقتصاديين »[162] .

---

156 فردريك انجلس : الثورة والثورة المضادة في المانيا - ترجمة شيخ الجبل وعلي رضا - دار ابن خلدون - ص 186 .

157 فردريك انجلس : الثورة والثورة المضادة في المانيا - ترجمة شيخ الجبل وعلي رضا - دار ابن خلدون - ص 186 .

158 المرجع السابق ص 189 .

159 انجلس : المرجع السابق 206 .

160 لينين : حول شعار الولايات المتحدة الاوروبية – حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص 160 .

161 لينين : المرجع السابق ص161 .

162 لينين : المرجع السابق ص161 .

لاحظ ان لينين يعتبر ان (الثورة الاشتراكية) شعار مثله مثل شعار الثورة على الرجعية اي شعار (دك الملكيات الثلاث الاشد اغراقا في الرجعية ... الخ) اما السيد جواد فيهز منكبيه ويمط شفتيه ساخرا من الرفيق حبش لانه اطلق تعبير شعار على موضوعة (الدولة الديمقراطية !)

وفي معرض مناقشة لينين للموضوع الخامس من موضوعات (جماعة انترناسيونال) الخاص بافكار يونيوس الواردة في كراسته والمتعلقة بحق الامم في تقرير مصيرها ...
في معرض مناقشته يذكر لينين تعبير يونيوس التالي :
« ... وشعار الاشتراكية هذا ان المؤلف على كل الحق – كسائر شعاراتها الاخرى لا يراد له ان يكون مبررا للوضع الراهن ، انما يراد له ان يكون هاديا الى الطريق ، وحافزا الى سياسة بروليتارية ايجابية ثورية خلاقة »[163] .

لاحظ ان يونيوس يعتبر موضوعة حق الامم في تقرير مصيرها، «شعارا » ترفعه الاشتراكية كسائر شعاراتها الاخرى « يا عمال العالم ، اتحدوا والثورة الاشتراكية ... الخ » ولينين وفي مقاله (بصدد الهزء بالماركسية وبصدد الاقتصادية الامبريالية) يسمى لينين (حق الامم في تقرير مصيرها) بانه واحد من شعارات حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي يرفعها نجلب انتباه اللينيني الذي يتجاهل لينين الى (شعار : بدون الحاقات وبدون تعويضات [164]) الذي كان حزب لينين يرفعه .

وفي تقريره السياسي الى المؤتمر الاستثنائي السابع للحزب الشيوعي الروسي يقول لينين عن النجاح الذي احرزه الحزب :
(... واذا هذه السياسة وهذا الشعار « كل السلطة للسوفياتات » اللذان كنا نغرسَهما في عقول اوسع فئات الجماهير الشعبية يمكناننا من احراز النصر في اوكتوبر – تشرين اول – بفائق السهولة في بطرسبورغ ، ويحولان الاشهر الاخيرة من الثورة الروسية الى زحف مظفر من اقصى البلاد الى اقصاها) [165] .

(أن شعارنا « كل السلطة للسوفياتات » الذي منه الجماهير عمليا بتجربة تاريخية طويلة قد اصبح من لحمها و دمها)[166] .
لاحظ تعبير لينين (بتجربة تاريخية طويلة ... الخ .) تحققت الجماهير من صحة واهمية ومضامين شعارات حزب العمال الاشتراكي – الديمقرطي الروسي ومعلوم ان شعار « كل السلطة للسوفياتات » هو شعار استراتيجي شأنه شأن شعار « المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين » وان معطيات حرب تشرين الايجابية قد اكدت صحة هذا الشعار من خلال تأكيدها على امكانية هزيمة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين و بالتالي امكانية جعل هذا الشعار موضع تطبيق وترجمة عملية لو توفرت القيادة الاشتراكية الثورية القادرة على تجنيد كل طاقات جماهيرنا و امكانياتنا العربية . فأين الخطأ بكلام الرفيق حبش ؟ .

والى جانب الشعارات السياسية هناك شعارات عسكرية واخرى تنظيمية لدرجة يصح القول معها إن حصر الشعارات بالمعضلات الساسية فقط ، وتحديد مضمونهاو طابعها بالمسائل التكتيكية والمؤقتة ، امر اعتباطي لا يستند الى اي سند علمي ، وان داعيته لا بد ان يصنف على انه يمارس الغش و الافتراء عن سابق علم واصرار !

يقول لينين : « يجب ان يكون شعارنا واحدا : تعلم الفن العسكري كما ينبغي . واقرار النظام في السكك الحديدية »[167] وفي بحثه عن « المهام المباشرة امام السلطة السوفياتية » يرد قوله تحت عنوان « الشعار العام في الظرف الراهن » : «احسب حساباتك بعناية ووجدان . ادر الاقتصاد بحكمة . لا تدع نفسك تنساق وراء الكسل ، لا تسرق ، تقيد بأشد الطاعة صرامة في العمل ، ان هذه الشعارات التي سخر منها بحق البروليتاريون الثوريون حين كانت البرجوازية تستر بمثل هذه التعابير سيطرتها بوصفها طبقة من المستثمرين تغدو اليوم بعد اسقاط البرجوازية ، اهم شعارات الساعة واكثرها الحاحا فان تطبيق هذه الشعارات في الواقع العملي من جانب سواد الشغيلة هو الشرط الوحيد لخلاص هذا البلد الذي كابد عذاب الشهادة بسبب من

---

[163] لينين : المرجع السابق ص 263

[164] لينين : المرجع السابق ص 295

[165] لينين المؤتمر الاستثنائي السابع للحزب الشيوعي الروسي البولشفي المختارات باللغة العربية م2 ج2 ص 159 .

[166] لينين : المرجع أسابق . ص 160

[167] لينين : المرجع السابق ص 182

الحرب الاستعمارية وضواري الاستعمار »[168] . ويقول : « حاولوا ان تقارنوا بالفكرة العادية الجارية ، الشائعة عن (الثوري) ، الشعارات التي تنبع من خصائص بلا هوادة نشر الطاعة بصرامة ، صعق الاستهتار »[169] .

ويطلق لينين تعبير شعار على الخطة الاقتصادية : « ....لا تزال السياسة الاقتصادية الجديدة ، الشعار الرئيسي الدوري، الشعار الذي يستنفد كل شيء في ايامنا هذه»[170]

و تفعل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي، الشيء نفسه . ففي سعيها « لاحداث المزيد من التمايز في صفوف ملاكي الاراضي ، اعادت اللجنة التأكيد على وجوب تأجيل شعار الثورة الزراعية ، والمناداة فقط بمصادرة اراضي المستجبرين – المستعمرين – والخونة ، وتنبت الشعارات الجديدة وهي «تخفيض نسب التحاص في الزراعة و الفوائد ، و اعادة الاراضي المشاع ، والتقدم في طريق تسليم الارض لمن يزرعها »[171] .

ويطلق شارل بتلهايم تعبير شعار على المبدأ الذي تلتزم به الحكومة الصينية في سياستها الاقتصادية و هي سياسة استراتيجية ما تزال الصين تتبعها و سوف تبقى لفترة اخرى ، وقد أقر المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني ذلك ... يطلق بتلهايم تعبير شعار على مبدأ : « اعتماد الزراعة كقاعدة و الصناعة كقائدة »[172] . ويطلق تعبير شعار على مبدأ « الاعتماد على النفس »[173] ورفع الحزب الشيوعي الصيني شعار « انبذوا الاوهام واستعدوا للنضال»[174] لكي يزيل أوهام الذين كانوا مترددين بسبب اعتقادهم بأن العلاقات بين الصين واميركا لم تصل الى حد العداء !

و عن القضايا التنظيمية يقول برنامج الحزب الشيوعي البلغاري : « و خلال ايام الحرب الوطنية القاسية – ايام المحنة الكبرى بالنسبة للثورة الاشتراكية الفتية – عبأت بلغاريا الديمقراطية الشعبية قواها تحت شعار «كل شيء من اجل الجبهة ، كل شيئ ف
ي
سبيل النصر »[175] . وفي ايامنا هذه يرفع الحزب الشيوعي البلغاري شعار الحزب الاساسي في مضمار اعادة تنظيم التعليم « دراسة وعمل ، عمل ودراسة »[176] .

ويطلق جورجي ديمتروف تعبير شعار على « الجبهة الموحدة » : « يقول البعض : ان شعار الجبهة الموحدة بالنسبة للشيوعيين ليس سوى مناورة . ونجيب نحن ، اذا كانت هذه مناورة ، فما الذي يمنعكم من فضحها »[177] . ويطلق ايضا تعبير شعار على طبيعة الحكومة ، فهل تكون حكومة عمالية او حكومة فلاحية[178] ، ويسمى الانتفاضة شعارا أيضا . حيث قال في خطابه في المؤتمر السابع للاممية الشيوعية في عام 1935 ، ردا على الانعزاليين اليساريين الذين يتصورون «بان القيادة

---

[168] لينين : المرجع السابق ص 252

[169] لينين : المرجع السابق ص 289

[170] لينين: خطاب في دورة سوفيات موسكو_المختارات م3 ج2 ص 424

[171] تاريخ ثورة اب الفيتنامية ص23 .

[172] بناء الاشتراكية في الصين ص 48 ، 262 على التوالي

[173] بناء الاشتراكية في الصين ص 48 ، 262 على التوالي

[174] ماوتسي تونغ المختارات م4 ص 39 .

[175] برنامج الحزب الشيوعي البلغاري ص 21 ، 91 على التوالي .

[176] برنامج الحزب الشيوعي البلغاري ص 21 ، 91 على التوالي .

[177] ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة – دار الطليعة – ص 83 ، 157،133،111،على التوالي .

[178] ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة – دار الطليعة – ص 83 ، 157،133،111،على التوالي .

الشيوعية تستطيع بمجرد انبثاق الازمة السياسية « او الثورية» ان تطرح شعار الانتفاضة الثورية ... »[179] . ويطلق تعبير شعار على الثورة الزراعية[180] وعلى الوحدة البروليتارية[181] .

ويطلق لينين تعبير شعار على قضية « نزع السلاح»[182] ويصف الحالة التي واجهت بلاد السوفيات بقوله : (تحولت بلاد السوفيات ، في مرحلة المحن العسكرية الكبرى ، الى معسكر حرب واحد ، واصبح شعار « كل شيء في سبيل الحرب ، كل شيء ف
ي
سبيل النصر » شعار حياة و نشاط الشعب السوفياتي)[183] .

ويصف لينين الاخلاقية البورجوازية بقوله : «اذا لم تكذب ، فانك لن تبيع . ذلك هو شعار الرأسمالية في التجارة اذا لم تكذب فانك لن تحصل على المقاعد في البرلمان ، ذلك هو شعار السياسة الرأسمالية في البلدان الحرة » [184] .

اما ماوتسي تونغ فيؤكد على ان « الحزب الشيوعي : الصيني هو الذي طرح الشعار المنادي باسقاط الامبريالية ... الخ »[185] .

اما الجنرال جياب فيقول : « وكان مواطنونا في الشمال يوجهون انظارهم دوما الى الجنوب يؤدون واجبهم المقدس لتحرير الجزء الآخر من وطننا المحبوب ، يحدوهم شعار « كل شيء من اجل قهر المعتدين الاميركيين » ،و « لا شيء أثمن من الاستقلال والحرية »[186] .

ومن اجل رفع معنويات جماهير الطبقة العاملة العالمية بوجه التعسف البورجوازي ، فقد رفع المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية شعار : « ليست الجبهة الواحدة ، شيئا اخر سوى اتحاد جميع العمال المصممين على النضال ضد الرأسمالية » وعلى الشيوعيين ان يدعموا هذا الشعار ، شعار وحدة العدد الاكبر الممكن من جميع المنظمات العمالية في كل تحرك ضد الرأسمالية»[187] وقد دعت الاممية الثالثة بشعارها هذا الاممية الثانية واممية امستردام النقابية للعمل الموحد ضد الرأسمالية بغية تمكين جماهير الطبقة العاملة من الحفاظ على مكاسبها المحققة من جهة والسعي لتحقيق مكاسب جديدة . وقد خرج الاجتماع التمهيدي الذي عقدته الاممية الثلاث ، بقرار يقضي بتنظيم مظاهرات مشتركة بين جميع الاحزاب المنتمية للاممية الثلاثة ،بمناسبة الاول من ايار (تحت الشعارات التالية :

- من اجل يوم عمل من ثماني ساعات .
- من اجل النضال ضد البطالة الناتجة عن سياسة تعويضات الحرب التي اتبعتها القوى الرأسمالية .
-من اجل التحرك الموحد للبروليتاريا ضد الهجوم الرأسمالي .
- من اجل الثورة الروسية ، من اجل روسيا الجائعة من اجل اعادة العلاقات السياسية و الاقتصادية مع روسيا .
- من اجل اعادة انشاء الجبهة البروليتارية الواحدة الوطنية الاممية)[188] .

---

179 ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة – دار الطليعة – ص 83 ، 157،133،111،على التوالي .

180 ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة – دار الطليعة – ص 83 ، 157،133،111،على التوالي .

181 ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة – دار الطليعة – ص 83 ، 157،133،111،على التوالي .

182 لينين : نصوص حول المسائل العسكرية – ترجمة المقدم الهيثم الايوبي - دار الطليعة – ص 325

183 لينين والعلم العسكري – جماعة من الكتاب السوفيات ص 189

184 لينين عن النقابات 279

185 ماوتسي تونغ حول الديمقراطية الجديدة المختارات م2 ص 485

186 جياب : حربنا الشعبية انتصرت على حرب الابادة الاميركية ص12

187 بيانات وموضوعات ومقررات الاممية الشيوعية ، ترجمة طلال الحسيني – دار الطليعة – ص 31،30،26،على التوالي .

188 بيانات وموضوعات ومقررات الاممية الشيوعية ، ترجمة طلال الحسيني – دار الطليعة – ص 31،30،26،على التوالي .

اما سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي ، فيتحدث عن موضوع الشعارات حديثا مطولا ننقله فيما يلي بنصه لاهميته اولا ولكي يدرك السيد جواد انه سمح لنفسه بان يهرف بما لا يعرف عن موضوع الشعارات ثانيا :

« التنظيم والنضال ، ثم النضال والتنظيم ، ثم ثانية النضال ... كل معركة تؤدي الى معركة اخرى ، ومتى دخلت الجماهير المعركة ، فان وعيها السياسي سيتعاظم ، و ستفتح تجربتها اعينها على الحقيقة ، و ستعلمها بأي اسلوب عليها ان تعمل .وهنا نلاحظ الاهمية الخاصة للشعارات . ان فن قيادة الثورة استراتيجيا و تكتيكيا ، وتوجيه النضال ايضا يتبدى اولا و قبل كل شيء في الشعارات الواضحة المعالم و الملائمة التي تتماشى مع الموقف ، و لا ينبغي على المرء ان يعتنق وجهة النظر الشديدة التبسيط القائلة بان الشعارات الاقتصادية هي شعارات اصلاحية ، بينما الشعارات السياسية وحدها هي الشعارات الثورية .فقد تكون هناك شعارات سياسية ذات طابع اصلاحي ، و شعارات اقتصادية تحمل مضمونا ثوريا . المسألة هي ، متى وفي اي ظرف ، وبأي هدف يطرف الشعار المعين ؟ أن حزبا ثوريا اصيلا ، حزبا مخلصا دون انحراف عن الهدف النهائي لهو حزب قادر على ان يصنع خاتم الثورة ، بطريقة او باخرى ، على كل الشعارات ، وعلى كل اشكال التنظيم والنضال ، كما في ذلك تلك التي لا تحمل الا اقل مسحة سياسية ، والتي تعتبر ضرورية من اجل حشد الجماهير حينما يكون الموقف غير مؤات بعد لعمل ثوري شامل . وعلى طول كل المراحل ، وبشكل خاص في تلك المرحلة السابقة لثورة اغسطس 1945 جمع الحزب ببراعة بين شعارات العمل والشعارات الدعائية ، وذلك لكي يقترن الاهداف المباشرة بالاهداف الرئيسية . ان شعارا ملائما للموقف المحدد ، لهو شعار قادر على الهاب حركة باسرها »[189]

هذه امثلة متعددة سقناها ، للتأكيد على ان احكام السيد جواد وصيغه هي احكام وصيغ اعتباطية ، وبالامكان الرجوع الى مؤلفات ماركس وانجلس ولينين وماوتسي تونغ وكيم ايلسونغ ولي ذوان وغيرهم وغيرهم . لنبين ان الشعارات ليست مقتصرة على القضايا السياسية التكتيكية المؤقتة وانما هي تشمل القضايا والاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية والتنظيمية ، والاستراتيجية والتكتيكية الكبيرة و الصغيرة ، البعيدة والقريبة ، اي انها شملت « جميع الشعارات من كل شاكلة ولون»[190] على حد تعبير لينين ، الامر الذي يتضح معه خطأ السيد جواد و اعتباطية احكامه ، ليس بالنسبة لهذه المسألة ، فقط بل وللعديد من المسائل التي تعرض لها !

لا شك في ان هناك فرق بين الهدف و الشعار ، و لكن هذا الفرق جزئي يتعلق بالتفاصيل ليس الا ، ونستطيع القول بانه يشبه الفرق بين الموضوع و عنوانه . فالشعار هو التعبير النضالي المكثف و المركز عن الهدف و القضية المراد التعبير عنها ، سواء كانت هذه القضية ،سياسية ام تنظيمية ام عسكرية ام اقتصادية او اجتماعية او اية قضية او هدف يراد طرحه على الجماهير ، سواء كان هدفا استراتيجيا ام تكتيكيا . والشعار باعتباره تعبيرا نضاليا مكثفا و مركزا عن الهدف ، فانه يلخص

---

189 الثورة الفيتنامية ، المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية . ص 37 ، 38

190 لي ذوان : لينين : المختارات م3 ج1 ص 146 .

مضمون الهدف ويحمله موجزا الى الذين يعنيهم امر تحقيق الهدف المعين ، وبتعبير موجز ومبسط ان الشعار هو الهدف بعينه او قل هو اسم الهدف وعنوانه ، ان صح التعبير والموضوع يقرأ من عنوانه كما يقال .

دعاة الاستسلام ينادون باسقاط شعار تحرير فلسطين كما اسقطوا شعار الاطاحة بالرجعية الاردنية بعدما تقدم ، يمكننا ان نتساءل هل ان السيد جواد اقترف كل هذه الاخطاء عن عمد و سبق اصرار بقصد تشويه اراء خصومه اسهاما منه بتضليل الجماهير باعتباره داعية بمقاييس اعتباطية نتيجة جهله وعدم معرفته للامور التي سمح لنفسه لان يخوض فيها بدون المام بوجهة نظر الماركسية – اللينينية فيها ، مما جعل صيغه تأتي متعارضة ومتناقضة قواعد ومعايير النظرية العلمية التي لبس برقعها منذ البدء ؟

امر أت لا نود الاخذ به ، لانه يكشف انتهازية من الطراز الاول بل والخطير ، اذ في هذه الحالة لا يقف الامر عند حد تشويه اراء ومفاهيم الرفيق حبش وانما يصبح السيد جواد واحدا من اتباع ماكيافيلي الذين تبرر الغاية عندهم اية واسطة حتى وان كانت اشاعة الاوهام على اساس انها حقائق . ومعلوم ان « ترويج وهم من الاوهام على نطاق واسع ليس مفيدا بل انه ضار »[191]

ان السيد جواد شأنه شأن كل دعاة الاستسلام لا يستطيع ان يعترف بأن القبول بالتسوية بالضرورة يعني اسقاط شعاري تحرير فلسطين والاطاحة بالرجعية الاردنية لانها ، اي التسوية،

تتطلب الاعتراف باسرائيل و التصالح مع الرجعية في الاردن والكف عن استمرار النضال ضدها ، هذا من جهة ولان الاستمرار برفع شعار تحرير فلسطين في هذه المرحلة ، يتعارض مع النهج الاستسلامي ، فان دعاة الاستسلام يحاولون الفصل بين الهدف وتعبيره النضالي ، لكي يتمكنوا من اسقاط شعار « تحرير فلسطين من سيطرة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني» الذي اصبح يشكل عقبة في طريق ذهابهم الى جنيف ، لان اسرائيل تضع مسألة الاعتراف بها شرطا من شروط اعترافها بمنظمة التحرير ، وموافقتها على ان تكون المنظمة طرفا مين اطراف التسوية التي تشارك في مؤتمر جنيف ، يقول وزير الاعلام الاسرائيلي اهارون ياريف : « اعتقد أن من واجبنا استغلال مختلف الاحتمالات حتى من خلال الاستعداد لتسويات أقليمية لنتوصل الى تفاهم و سلام مع جيراننا . ولكن علينا القيام بذلك من خلال افتراض ان الطرف الاخر مستعد في الواقع للاعتراف بوجودنا هنا كدولة ذات سيادة ومستقلة تعيش في سلام مع جاراتها »[192]

وبعد ثلاثة عشر يوما نشرت الصحف اللبنانية بدون استثناء بعناوين بارزة تصريحات المسؤولين الاسرائيليين والاميركيين التي تتحدث عن التفاوض مع المقاومة ومع منظمة التحرير الفلسطينية من اجل التوصل الى تفاهم مشترك بين الفلسطينين والاسرائيليين ، وقد حاولت دائرة الاعلام الفلسطيني ان تخفف من ردود الفعل السلبية لدى جماهيرنا ، حين بادرت الى القول بان هذه التصريحات جاءت نتيجة قدرة منظمة التحرير على فرض نفسها . بينما الحقيقة تقول انها جاءت نتيجة انبطاحها امام اطراف التسوية و استعدادها للتورط في لعبة الحل الاستسلامي و الاعتراف بالعدو الصهيوني الاستعماري و التصالح مع الرجعية .

وليس بعيدا ذلك اليوم الذي سنطالع فيه تفسير منظمة التحرير وسائر ابطال الاعتراف باسرائيل ، ذهاب ابوعمار الى «جنيف » و جلوسه الى جانب رابين ، على انه انتصار تسجله المنظمة على اعدائها ، تماما مثلما فسروا كلام أهارون ياريف ،اذ سيقولون ساعتها بأن المنظمة فرضت نفسها على اسرائيل واجبرتها على الاعتراف بها ، بفضل نشاطها وتأييد الدول العربية والعالم لها ، اي ان المسألة يومئذن ستصبح معكوسة تماما ، فالموضوع هو اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير وليس اعتراف المنظمة باسرائيل ! ويومذاك من حق الحركة الصهيونية ان تدعي بأن منظمة التحرير والفلسطينيين الذين تمثلهم هم المغتصبون والغازون لفلسطين ، وتعتبرهم مستعمرين لفلسطين منذ ما يزيد على الفي سنة، اما هي اي الحركة الصهيونية واسرائيل فتبدو حملاً وديعا ينشد السلام ويسعى لاستتبابه ، سعيا دفعه الى الذهاب الى « جنيف » لكي يعترف بمنظمة التحرير التي فرضت نفسها على اسرائيل واميركا التي ذهب وزير خارجيتها كيسنجر الى « جنيف » لكي يشارك رابين استقبال ممثلي المنظمة تماما مثلما يستقبلهم الملك فيصل وكل الامراء من ال سعود الذين نالوا شرف عضوية « فتح » !

---

[191] لينين : خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء م1 ج1 ص 427

[192] جريدة النهار البيروتية – العدد 12167 في 30 – 6 – 1974 .

لنأخذ ما كتبته جريدة النهار البيروتية تحت عنوان « استعداد اميركي – اسرائيلي للتفاوض – ضمن شروط – مع المقاومة » دليلا على صحة هذا القول
« اخذت تظهر تصريحات اميركية واسرائيلية رسمية تتحدث للمرة الاولى ، عن ضرورة اخذ منظمة التحرير الفلسطينية في الاعتبار في اية تسوية سلمية ممكنة .

وامس اعلن مسؤول اميركي كبير ان الولايات المتحدة يمكن ان تجرى في المستقبل اتصالات مع المنظمات الفلسطينية .. كما اعلن وزير الاعلام الاسرائيلي ان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع منظمة التحرير « ضمن شروط» . وفي رأي المصادر الفلسطينية المسؤولة ان اهم ما في الكلام الاميركي و الاسرائيلي انه يظهر ان منظمة التحرير فرضت وجودها على اعدائها ولم يعد في الامكان حتى بالنسبة الى اسرائيل ، تجاهل الثقل الذي تمثله المنظمة في الساحة الدولية »[193] .

ثم تستطرد النهار قائلة تحت عنوان « تحرك اميركا » : «عشية بدء الجولة المهمة – من جولات التسوية – تحركت الولايات المتحدة واسرائيل في اتجاه واحد .

من واشنطن نقلت « النيويورك تايمس » عن « مسؤول كبير في وزارة الخارجية » ان الولايات المتحدة يمكن في المستقبل ، ان تجري مع المنظمات الفلسطينية « اتصالات ذات مستوى رفيع » وذلك « في اطار الجهود المبذولة لإيجاد حل للقضايا المطروحة في الشرق الاوسط » . واضاف هذا المسؤول : «ان الولايات المتحدة تنطلق ، من الان فصاعدا من المبدأ القائل انه لا يمكن ايجاد حل للنزاع اذا لم تؤخذ مصالح الفلسطينيين في الاعتبار » .

وقد نشرت الصحف الاسرائيلية هذه الانباء امس بعناوين كبيرة في صفحاتها الاولى[194] .

وتحت عنوان « مستعدون للتفاوض » قالت النهار ايضا :

« في تل ابيب اعلن أهارون ياريف وزير الاعلام الاسرائيلي ان اسرائيل ستكون مستعدة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية اذا اعترفت بوجود الدولة اليهودية واوقفت نشاطاتها المعادية لاسرائيل .

اذا اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية علنا انها تعترف بوجود دولة اسرائيل اليهودية واعلنت ايقاف وانهاء نشاطاتها المعادية ضدنا فسيكون من الممكن الدخول في مفاوضات » .

ورحبت الصحف الاسرائيلية بما ذكر عن ان مجلس الوزراء سيبحث في مسألة اقامة كيان فلسطيني[195] .

اما السيد جواد فيصر على ان هدف تحرير فلسطين بديهة من البديهيات التي لا تحتاج الى برهان !!!

« ان حرب تشرين لم تثبت ان هدف التحرير قابل للتحقيق لان ذلك ثابت قبلها . منذ انطلاقة الثورة »[196] . ولكنه لا ينطق بهذا القول ليعبر عن ايمانه به وانما يقوله بغية التضليل لكي يستطيع ان يقول بعدها : اذا كان هدف التحرير امر مفروغ منه ولكنه هدف بعيد ، فان خوض المقاومة في التسوية من شأنه ان يجعلها « تراهن على امكانية توظيف عناصر الحرب الايجابية لاكتساب مواقع مرحلية (محاصرة اسرائيل في حدود 4 حزيران 67) لمعاودة الصراع و الهجوم ضد اسرائيل و أميركا »[197] .

ان هذا الاسلوب في التضليل تطلب كما سبق واوضحنا عملية فصل اعتباطية بين الهدف و تعبيره النضالي « الشعار » لكي لا يبقى هدف تحرير فلسطين حاضرا امام انظار الجماهير .ولكن دعونا نرى هل صحيح ان دخول المقاومة في التسوية يبقى هدف تحرير فلسطين في عداد البديهات وبالتالي يبقى شعاره مرفوعا ام ان العكس سيحدث بحكم الضرورة ؟ لنرى .

---

193 المرجع السابق العدد .12180 في 13 – 7 – 1974 .

194 المصدر السابق العدد 12180 في 13 – 7 – 1974 .

195 المرجع السابق .

196 جواد : المرجع السابق ص 48 .

197 جواد : المرجع السابق ص 45 .

اذا كانت حرب تشرين قد خلقت انعطافا تاريخيا عجل بقضية التسوية السياسية للمشكلة القائمة بين حركة التحرر العربية وبين الحركة الصهيونية ليعكس صورة النظام البديل للكيان الصهيوني القائم في فلسطين ... واذا كان هذا الشعار قد رفع في ظروف استمرار الثورة ونهوضها ضد اسرائيل . وان هذه الظروف قد تغيرت بسبب حرب تشرين ، وان المقاومة التي رفعت هذا الشعار لم تعد قادرة – كما يدعون – على مواصلة النضال بسب صعوبة الظروف ، وعليها ان تكون واقعية وان تخوض في التسوية الاستسلامية ، وبالتالي فانها على استعداد للاعتراف بالكيان الصهيوني مقابل موافقته على قيام دولتها الفلسطينية في الضفة و القطاع ...نقول اذا كان الامر على مثل هذه الشاكلة فماذا يبقى لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، غير احتمال واحد هو أن تطرح المقاومة الفلسطينية على العدو الصهيوني ، بعد ان تعترف به رسميا ويعترف هو بها رسميا ايضا ... أن تطرح فكرتها بخصوص الدولة الفلسطينية الديمقراطية ... وفي حال رفضه - وهو سيرفض بكل تأكيد – وعدم موافقته ، فماذا يبقى لهذا الشعار، يا حضرة السيد جواد ؟

« ان الماركسية تتطلب لتبرير اي شعار كان تحليلا دقيقا لهذا الشعار من حيث واقعه الاقتصادي وظرفه السياسي ومغزاه السياسي »[198]

وقد كان الظرف السياسي لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية هو ظرف نشوب الثورة ضد الكيان الصهيوني ورفعها شعار اسقاطه ، اما المغزى السياسي الذي عكسه هذا الشعار فهو التعبير عن الكيان البديل اي ان « شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية » كان تعبيرا نضاليا ، اراد منه رافعوه ان يشيروا الى ان الكيان البديل الذي يناضلون من اجل اقامته هو نقيض للكيان الصهيوني القائم في فلسطين من حيث طبيعته الديمقراطية التقدمية التي تتسع للعرب واليهود والمسيحيين بغير تمييز عرقي او طائفي .

واذا كان « كل شعار بمفرده ينبغي أن يستنتج من مجموع الخصائص التي تميز وضعا سياسيا معينا »[199] فماذا يبقى لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية من خصائص بعد دخول المقاومة في التسوية السياسية و اعترافها باسرائيل .

ان دعاة التسوية – المؤامرة ، حين يصرون عدم التنازل عن هدف تحرير فلسطين في الوقت الذي يعلمون فيه علم اليقين بان دعوتهم هذه تعني بالضرورة الاعتراف باسرائيل والكف عن النضال من اجل اسقاط الرجعية الإردنية . .. نقول إن هؤلاء الدعاة، يخدعون الجماهير حين يصرون على ان ذهابهم الى جنيف لا يتعارض مع هدف تحرير فلسطين ، وان اعترافهم باسرائيل لا يلغي الظرف السياسي لشعار « التحرير الكامل » والمغزى السياسي اي المضمون السياسي له !

واخيرا يتحتم علينا ان نهمس بأذن السيد جواد ، بان غرضك ، ايها السيد مفضوح ، وجماهيرنا تعرف اذا تقاتلون ايها المستسلمون الاصلاحيون ، من اجل فصل الشعار باعتباره التعبير النضالي عن هدف اقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني لكي تتمكنوا من انزال شعار « ثورة حتى التحرير الكامل » ! لان شعارات الكفاح المسلح والقتال والثورة المستمرة ضد العدو الصهيوني أصبحت شعارات تسبب لكم القلق بل و الفزع من ان تستفز اسرائيل واميركا، استفزازا قد يدفعهما لمزيد من التشدد المقصود والهادف احداث مزيد من الارتجاف باعصابكم المنهارة !

يقال ان الغراب اعجبته مشية الحمامة ، فدفعه اعجابه لتقليدها وتعلم طريقتها ، ولما فشل حاول أن يعود الى مشيته السابقة ، فلم يهتد اليها اذ نسيها ، وبين التقليد والنسيان ضيع « المشيتين » فصار مثلا يضرب من يقلدون الغراب في اللعب على حبال عدم الثبات وقفز المواقع المبدئية يسارا ويمينا !

حضرتني قصة الغراب هذه ، وانا اطالع كلام السيد جواد عن الفرق بين الهدف والشعار ، الذي لم يستطع الرفيق حبش ادراكه لدرجة مط معها اللينيني الذي يتجاهل لينين شفتيه هازئا بغباء نسي معه ان اكثر من اربعين عاما قد مضت على قيام الحزب الشيوعي العراقي وهو يرفع وما يزال شعار « وطن حر وشعب سعيد » ، ومعلوم ان « الوطن الحر والشعب السعيد » هو هدف استراتيجي استشهد « فهد » في سبيله ، واعضاء حزب « فهد »[200] قد جعلوا من شعارهم هذا اغنية يرددونها في المسيرات والشوارع عام 1959 : « قل للمواطن ماذا يريد وطن حر وشعب سعيد » .

---

198 لينين : بصدد الهزء بالماركسية وبصدد « الاقتصادية الامبريالية » حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ص 278 .

199 .لينين – م 2 ج 1 ص 258 .

200 يوسف سلمان يوسف سكرتير الحزب الشيوعي العراقي ، اعدم 1948 .

يبدو ان تغيير مواقع الالتزام المبدئي بسبب التنقل بين « القيادة » و « اللجنة » قد اربك ذاكرة السيد جواد كما اربك « التقليد » ذاكرة الغراب !

ان الذين يتشبهون بالغراب ليس بوسعهم أن يعلموا الاخرين «المشي » . يقول لينين: (ان ينسب المرء الى خصمه حماقة بينه لكي يدحضها فيما بعد ليس من اساليب الرجال الاذكياء)[201] .

[201] لينين: الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي – المختارات باللغة العربية م3 ج 1 ص153 .

الفصل الرابع

دموع كيسنجر ودور اهل النظام
المصري في تنفيذ المخطط الامريكي

* مقدمة .
* تعددت الاجابات والسؤال واحد .
* ادعاءات مضللة .
*حجم التناقضات بين اطراف معسكر التسوية .
*حجم التعنت الاسرائيلي .
* انتصارات الثورة في الهند الصينية واعادة النظر بالسياسية الامريكية .
* الحلول الثنائية المنفردة وتضامن مصر مع سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية .
* الخلاصة ... والعبرة !

مقدمة

ان الذين تابعوا نشاط كيسنجر الاخير وتنقلاته بين مصر واسرائيل ولقاءاته العديدة المفتوحة مع كل من رابين والسادات ، فوجئوا حين شاهدوا صانع « المعجزات » وحامل نصف جائزة «السلام» ، «الصديق هنري» ينتحب باكيا حظه العاثر الذي لم يسعفه للتوصل الى صيغة وسطية مقبولة من قبل الطرفين المتفاوضين بوساطته !

ان المفاجأة التي أثارت دهشة المراقبين ، لم تكن منبعثة مما هو معروف عن الرجل من دهاء فائق وذكاء ماكر يجمع في حوزته كل أساليب سياسة الاستعمار الجديد وفنونه ، بقدر ما كانت المفاجأة متأتية من كون الرجل موجود في المنطقة وما كان ممكنا وجوده لو لم تكن نسبة النجاح هي المرجحة لديه خصوصا و ان كيسنجر نفسه قد أدلى بأكثر من تصريح ، فضلا عن تصريحات مساعديه والناطقين بلسانه في الفترة التي سبقت مجيئه . وكانت تلك التصريحات جميعها تؤكد على ان حضور وزير الخارجية الاميركية الى منطقة الشرق الاوسط ، يتوقف على قناعته باستعداد الاطراف المعينة للاتفاق ، من جهة وان حضوره الى المنطقة كان دليلا قاطعا على ان الايجابيات في حساب الارباح والخسائر الذي يهتم فيه كيسنجر كثيرا ، كانت مرجحة ومتفوقة على السلبيات من جهة اخرى ، ويضاف الى كل ما تقدم ما هو معروفة عن علاقة الاطراف المتفاوضة الحميمة مع اميركا عامة ومع وزير خارجيتها «العزيز هنري» على وجه الخصوص ، وهي علاقة لا تسمح طبيعتها لاي من الاطراف المصرية أو الاسرائيلية بالاساءة الى سمعة محط آمالهم و معتمد رجائهم من جهة ثالثة .

النابض رغم «جولات كيسنجر» التي ترهقها ، وان ترابها ما يزال يحتفظ بطهارته رغم « اقدام كيسنجر» التي تدنسه ، وان «سوريا » ما تزال هي «سوريا» التي لم يعرف تاريخها الحديث غير موقف الرفض والتحدي للامبريالية.والصهيونية ، رغم تهالك اهل النظام على التسوية وجرأتهم في الاعلان عن استعدادهم للاسهام بصنع « السلام » لجميع دول المنطقة ومنها اسرائيل بالطبع لكي تنعم بالتمتع بتحقيق ما كان وما يزال ابرز احلامها !

أما الاتحاد السوفياتي ، فقد اتخذ موقفه على مرحلتين ، أولهما ،

اتسمت بالتواضع ، اذ اعتبرت وسائل الاعلام السوفياتية تعثر الوزير الاميركي، دليلا على فشل سياسة «الخطوة خطوة» الاميركية والحلول الجزئية والثنائية ، وبرهانا على صواب السياسة السوفياتية القائلةبأن «مؤتمر جنيف » هو الطريق الاجدى لتحقيق التسوية السياسية بين الاطراف المتنازعة ، اذ طالما ان الجميع (مصر وسوريا وسائر أنظمة المواجهة ، و منظمة التحرير الفلسطينية و اسرائيل) متفقون على التصالح و إنهاء حالة الحرب و العداء بينهم ، وراغبون في ارساء علاقات حسن الجوار و الامن و السلام ... طالما ان الجميع بهذا الموقف ، فان اجتماعهم بمؤتمر يضم الاميركان و السوفيات الى جانبهم كفيل بأن يجعل من المفاوضات المباشرة بين العرب «المستسلمين» و الاسرائيليين الراغبين في « السلام » باشراف الدولتين الكبيرتين افضل وسيلة و اجدى اسلوب من تلك الاساليب الاخرى التي يحول كيسنجر اتباعها !

اما المرحلة الثانية ، فقد تميزت بالكشف عن الاوراق السوفياتية كلها تقريبا ، اذ استقبلت موسكو وزيري الخارجية المصرية والسورية كما استقبلت ابو عمار ووفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واعلن غروميكو ان الاتحاد السوفياتي يضمن سلامة اسرائيل وأمنها اذا وافقت على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها عام 1967 ، واعترفت بمنظمة التحرير شريكا في جنيف ووافقت على قيام الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع مقابل اعتراف منظمة

واذن ، فان الاجواء كانت مهيئة والنفوس كانت عامرة بأمل النجاح ، فلماذا حدث العكس لدرجة جعلت « العزيز هنري » يبكي أمام الملأ من شدة حزنه ؟!

تعددت الاجابات والسؤال واحد

لقد تعددت الاجابات على هذا السؤال وتباين التفسير ، تباين مصالح الاطراف وتعددها !

فمنظمة التحرير الفلسطينية ، رفعت عقيرتها وانتفضت زهوا كما ينتفض الطاووس ، مدعية ان فشل كيسنجر يعود الى «صلابة» موقفها (!) متناسية ان رئيسها قبل أن يعلن كيسنجر عن ايقاف المفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين بوقت قصير ، كان يذرف دموع الخشية من خطورة الوضع الذي يحيق بمنظمة التحرير ويهدد وجودها . وعلى هامش أو على «عين» منظمة التحرير ، راح ابرز اقطاب منظمة «فتح» يتبارون في الادلاء بالتصريحات ، مؤكدين على أن ما تعارضه «فتح» لن يكون النجاح نصيبه !

اما اهل النظام السوري ، فلم يتظاهروا بمظهر اعتداد ومفاخرة مثل ظهورهم ، بعد ان وصلتهم اخبار «العزيز هنري» ٠ التي وجدوا فيها مادة دعائية مناسبة لرفع معنويات « الرفاق » المنهكة بأوزار الخلافات الناشبة بين مختلف الكتل و الجيوب المتصارعة [202]

وقد لوحظ ان صورة «العزيز هنري» الباكية ، تملأ شاشة التلفزيون السوري ، مثلما كانت التعليقات «العقائدية» و «الجبهوية » تشغل سائر وسائل الاعلام ٠ وكانت تلك «الصورة» مع التعليقات ابرز مواد المؤتمرات «القطرية والقومية» ، وكانت نتائج كل المناقشات تستهدف الخروج بنتيجة فحواها ان «سوريا» ما تزال قلب العروبة

هكذا اذن ، تعددت الاجابات ، وتباينت ، تباين مصالح الاطراف المختلفة ... على السؤال الذي رسمته «دموع» «العزيز هنرى» التي ذرفها بمطار بن غوريون وهو يعلن قطع محاولته وايقاف اتصالاته المباشرة مع السادات ورابين مؤقتا !

ادعاءات مضللة !

ان المراقب السياسي ، حين يدقق بهذه الاجابات ويمحصها ويخضعها للمحاكمة الجدية ، سوف يتأكد من انها كانت ادعاءات اكثر منها حقائق يمكن أن يعول عليها في بناء موقف سياسي مناهض للامبريالية ، ذلك انها تحمل مقدارا من التضليل يفقدها الجزء اليسير من الحقيقة التى تنطوي عليها ٠ فلو ان هذه الاطراف نسبت «فشل» كيسنجر الى غيرها واعتبرت مواقفها عوامل ثانوية فيما وصلت اليه جهود وزير الخارجية الاميركية ، لكان لمنطقها وجاهة ومبرر ، بيد ان تماديها في الشطط والافراط بتأثير دورها في النتيجة التي توقف عندها «العزيز هنري» ، قد أفرغ منطقها من مضمونه وحوله الى مادة من مواد التضليل التي تدفع الجماهير للتعلق بالاوهام والرقود على وسادة بطولات وهمية ، تنفخ الحقائق الجزئية ، نفخا يحولها الى بالونات هوائية لا تقوى على تحمل درجة الحرارة الناجمة عن احتكاكها بأعاصير الفضاء الساخنة ، فتنفجر متلاشية بين تصادم الاعاصير وتلاطمها !

اما لماذا يطلقون هذه البالونات فمن اجل تزيين مؤتمر جنيف و اظهاره على غير حقيقته !

حجم التناقضات بين اطراف معسكر التسوية

هل في هذا الكلام ، افتراء على اهل النظام السوري ، واهل منظمة التحرير الفلسطينية أي الاتحاد السوفياتي ؟
لا شك في ان هناك تناقضات بين مختلف الاطراف القابلة في التسوية السياسية القائمة على اساس القرار 242 الذي يلزم القابلين

---

202 في اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي انعقد بعد ايقاف كيسنجر لمهمته ، وقف السيد خدام يصفق جذلا تعبير عن فرحه لفشل كيسنجر ! اعتقدا منه، بان هذا الفشل سوف يجعل امريكا تحسب حسابا لدور سوريا في التسوية !

التحرير باسرائيل من جهة ووافق ايضا على العودة لسياسة «الخطوة خطوة» شريطة إن تتم ضمن مؤتمر جنيف . ان الاتحاد السوفياتي بدأ يتصرف وكأنه هو المسؤول عن نجاح مؤتمر جنيف ، ولذلك بدأ نشاطا ملحوظا من اجل دفع قضية التسوية خطوات الى أمام ، من جهة اخرى .

أما الاحزاب الشيوعية العربية التى يعتبر موقعها امتداد لموقف الاتحاد السوفياتي ، فقد سخرت اقلامها وصحافتها لتسهم بتعجيل سيرة «ركب الاستسلام» تحت يافطة الادعاء بأن (موقف القوى الثورية في حركة التحرر الوطني العربية ... التي ارتفع مستوى وعيها السياسي – على امتداد الخمسين سنة الماضية – و عدائها للاستعمار و ازدادت كفاحتها ، وتعمق ارتباطها بالافكار التقدمية افكار التغيير الحقيقية على طريق الاشتراكية (!) ٠ ان موقف هذه القوى كان العامل الثالث (!) من عوامل افشال سياسة «الخطوة خطوة» الاميركية، التي يتصدى لها الاتحاد السوفياتي (!) تصديا يتجلى بتقديم (كل الدعم للقوى المناهضة للتسويات الجزئية المنفردة التي تجري على حساب المصالح الاساسية للشعوب العربية)... بهذه المزاعم والتضليل سخرت هذه الاحزاب اقلام كتابها ومنظريها ٠

أما أهل النظام المصري فلم يترددوا في المزايدة على الاخرين، وانما تجاوزوا بادعائهم كل الاطراف التي تنسب لنفسها عائدية «فشل» كيسنجر ، لدرجة قالوا معها : (ما عسى أن يبلغ عض النمل) ، وماذا كان يمكن أن يفعل الذين (يتاجرون بقرون الحمير) لولا موقف اهل النظام المصري «المبدئي» ! واصفين مزايدات المزايدين بأنها احاديث خرافة لا تتسم بغير جرأة الذباب مؤكدين على ان المطر لا يجيء بصياح الغراب ، وان التسوية السياسية التي يريدونها لن تتحقق بدون الاعتماد على مصر والسعودية وعلاقتهما الحميمة مع اميركا و(العزيز هنري) ومثلما ان العيان لا يحتاج الى بيان ، فان دور اهل النظام المصري بتحقيق ما يزحف المزايدون على بطونهم من أجل تحقيقه ، واضح تماما وان الفضل فيما قطعته التسوية لحد الان ، يبقى للمبتدىء وان احسن المقتدي !

به بالاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها والعيش بسلام قائم على أساس حسن الجوار واياها ، وبالتحديد هناك خلافات بين سوريا والمقاومة والاتحاد السوفياتي مع اميركا ، وهناك خلافات بين سوريا والاتحاد السوفياتي مع مصر ، ولكن كل هذه الخلافات تبقى ثانوية طالما انها محكومة باطار التسوية وعاجزة عن الخروج من اطارها .

فالاتحاد السوفياتي مثلا يعارض سياسة اميركا المعروفة بسياسة (الخطوة خطوة) ولكن لقاء غروميكو وكيسنجر الذي سبق جولة كيسنجر الاخيرة والذي تم في جنيف اظهر اتفاقا في وجهات النظر حول ضرورة تحقيق التسوية السياسية وحل الصراع العربي - الصهيوني بالطرق السلمية ٠

ومعلوم ان هذه الطرق والحلول ، لا تخدم مصلحة الجماهير العربية عامة والشعب الفلسطيني على وجه الخصوص بحكم كونها ، تكرس الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وتنتقص الحقوق القومية لشعبنا الفلسطيني العربي وتجتزؤها لدرجة تجعل من الجزء اليسير من الوطن ثمنا للتنازل عن فلسطين المغتصبة الى الحركة الصهيونية وبعبارة اخرى انها تشترى الأرض التي احتلت عام 1967 ، بفلسطين التي اغتصبتها الصهيونية عام 1948 وهذه المساومة الرخيصة ، لا تنطوي على التنازل عن حقوقنا القومية فقط وانما هي اعتراف صارخ بالاغتصاب واقرار مناقض لكل مبادىء حق تقرير المصير للشعوب ، وتكريس مشين للامر الواقع الذي يفرضه العدوان !

اما الامر الذي يثير الاستغراب والضحك في آن معا ، فهو أمر الحكام السوريين الذين يتبجحون بصلابة موقفهم و « ثباته المبدئي » الذي أدى الى «فشل» كيسنجر !

اية صلابة وأي ثبات هذا الذي يتحدثون عنة ، وأي صراع هش هذا الذي يخوضونه ضمن نطاق التسوية ؟

ان الكذب حبله قصير وقد لاحظنا كم كان موقف سوريا «صلبا» حين بقيت تقاتل تسعين يوما من أجل أن توقع اتفاق فك الارتباط اقتداء بمصر وسيرا بركابها لتفرغ موقف الشعب السوري من مضمونه المبدئي الثوري ضد اسرائيل !

اذا كان للاتحاد السوفياتي أن يقول انه لا يستطيع أن ينظر الى قضية الصراع العربي – الصهيوني من غير منظور الوفاق الدولي ، فليس للذين ما يزالون يدعون انهم حملة شعارات الوحدة و الحرية والاشتراكية أن يجدوا ما يبرر موقفهم ويجعله مقبولا لدى جماهيرنا العربية ، فالشعب السوري لا يمكن أن يقبل مساومة رخيصة كهذه المساومة !

ولعل الجرأة التي بدأ يتحدث بها الناطقون بلسان منظمة التحرير بخصوص استعدادهم للذهاب الى جنيف تكشف الاسلوب الجديد الذي بدأت قوافل التسوية تسير عليه . فقد اتاح تصريح السادات عن ذهاب الجامعة العربية الى جنيف للمشاركة في المؤتمر نيابة عن الفلسطينيين ، الفرصة واسعة لهؤلاء الناطقين لان يرفضوا ان تمثلهم الجامعة العربية وأصروا على انهم «الممثلون الشرعيون الوحيدون» للشعب الفلسطيني .

انها وايم الحق مبادرات « ذكية جدا » هذه التي يقوم بها الذين ما يزالون يحملون شعار « ثورة حتى النصر » ! حين يستغلون تصريحا هزيلا ليعلنوا قبولهم بالمشاركة بمؤتمر تصفية القضية الفلسطينية و التنازل عن الوطن الفلسطيني للحركة الصهيونية اعلانا يحاول ان يتسلل متخفيا وراء الرد على السادات ورفض دعوته لان تمثل الجامعة العربية الفلسطينيين ! وكان رفض رأي أو اقتراح السادات لا يمكن ان يتم الا من القبول بالتسوية – الخيانة !

لقد كانت هذه « المبادرة » خطوة اعلامية هدفها أن تمهد لاتخاذ موقف محدد بقبول ذهاب « المنظمة » الى جنيف، اذ بعد ايام صدر البيان المشترك عن الوفد السوفياتي برئاسة كوسيغين رئيس الوزراء ووفد منظمة التحرير برئاسة ياسر عرفات ، لينص صراحة على قبول المنظمة الذهاب الى جنيف على أساس الاعتراف باسرائيل ، يقول البيان :

(وأشار الجانبان بارتياح الى ان شرعية مطالب الشعب العربي الفلسطيني باحترام حقوقه الوطنية تحظى باعتراف دولي متزايد بما في ذلك قرارات الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة ايضا . وجرى الاعراب عن الرأي الراسخ في انه لا يمكن أن يكون ثمة سلام وهدوء في الشرق الاوسط بدون حل للقضية الفلسطينية يتجاوب مع مصالح الشعب العربي الفلسطيني بحقوق التأكيد لدى ذلك على أهمية مشاركة الشعب العربي الفلسطيني بحقوق متساوية مع الاطراف المعنية الاخرى في الجهود الرامية الى بلوغ التسوية في الشرق الاوسط بما في ذلك مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط) .

هكذا سقطت مرة واحدة ورقة التوت التي كانت منظمة التحرير تستر بها جوهر موقفها وادعائها بأنها تمارس تكتيكا سياسيا بسكوتها وانها لن تذهب الى جنيف . المهم ان مبادرة وزير خارجية الدولة المنتظرة لم يبادر للرد على السادات انطلاقا من الحرص على تمثيل الشعب الفلسطيني بقدر ما أراد أن يقدم جرعة للجماهير تخدرها وتعدها لقبول ما ورد في البيان السوفياتي – الفلسطيني . ومع هذا كله فان الجبهة الديمقراطية زعلانة ومنزعجة بسبب غموض موقف رئيس اللجنة التنفيذية ، وقد بادرت الى اصدار تعميم داخلي لاعضائها تجلب انتباههم فيه الى الفرق بين صراحة وفدها الذي ترأسه نايف حواتمه والذي فاوض السوفييت وبين غموض رئيس منظمة التحرير ممثل البرجوازية الوطنية على حد تعبير التعميم الصادر عن الجبهة الديمقراطية التي تريد ان تعلن المنظمة موقفها كله مرة واحدة لكي يستطيع الاصدقاء السوفيات تحديد مواقفهم بوضوح ايضا يقول التعميم تعليقا على هذه النقطة : (لقد تم طرح القضايا الراهنة المذكورة بشكل عام جعل الاجابات عامة ايضا ، فمثلا انتهى وفدنا الى موافقة موسكو على الاعتراف الفوري بالحكومة الثورية المؤقتة كما طرحها وفدنا ، بينما مع وفد منظمة التحرير بقي الموقف عاما مترددا ، لان الوفد لم يطرح الامور بدقة لياخذ اجوبة والتزاما دقيقا . وواضح مدى الخسارة بنضال شعبنا التي تلحقها المواقف البرجوازية الوطنية الغامضة والمترددة) .

لقد علمنا دعاة الحل «السلمي» على اخراج مواقفهم مرتدية اثواب البطولات الدونكيشوتية ، وفق اسلوب تكتيكي يمارسونه علينا وليس على اعدائنا فحرب تشرين رغم انهم خططوا لها لكي تكون الجسر الذي يعبرون عليه لاجتياز المأزق الذي انحشرت فيه التسوية الساسية ، عبورا جعل امكانية مفاوضات « خيمة الكيلو متر 101 » ممكنة بعد ان كانت مستحيلة في ظل حالة اللا حرب واللا سلم ، التي كانت سائدة بسبب اصرار اسرائيل على المفاوضات المباشرة معها من اجل تحقيق التسوية – المؤامرة ... حرب تشرين هذه جعلوا منها انجازا وطنيا بطوليا لهم ، وتسربلوا بردائها لاخفاء حقيقة ما يريدون ، وكذلك حرب التسعين يوما في الجولان فقد كانت التخريج السوري لفك الارتباط على جبهة الجولان مثلما كانت حرب تشرين التخريج المصري لفك الارتباط بالقضية الفلسطينية و منذ قبول منظمة التحرير الفلسطينية للسير بركاب مصر و سوريا ، بغية الوصول الى جنيف والجبهة الفلسطينية تشهد التمثيلية ذاتها ، فكل خطوة يخطوها اهل منظمة التحرير تشكل انتصارا ، ففي مؤتمر القمة انتصار ، وفي هيئة الامم انتصار ، وهم يحاولون اليوم أن يوهموا الناس بأن ذهابهم الى جنيف و مشاركتهم بمؤتمر التنازل عن فلسطين انتصارا ما بعده انتصار ! من خلال اظهار مؤتمر جنيف وكأنه البديل «الوطني » لسياسة (الخطوة خطوة) الاميركية ، علما بأن القاء نظرة على طبيعة تركيبة المؤتمر والقوى الفاعلة فيه ، تكشف زيف كل الادعاءات التي تحاول تزيين المؤتمر وتخفف من حدة المعارضة له .

ان السؤال الذي يتهربون من الاجابة عليه هو : ماذا يمكن أن يفعلوا لو ان اسرائيل بدعم من اميركا رفضت أن تتراجع عن موقفها ؟
الا ينفرظ المؤتمر ، وتعود سياسة (الخطوة خطوة) الاميركية الى العمل من جديد ، ولكن هذه المرة بموافقة جميع الاطراف ! و لعل تصريحات غروميكو بقبول هذه السياسة ضمن نطاق مؤتمر جنيف دليلا على شعورهم بحالة العجز التي يمثلونها في هذا المؤتمر وغيره من كواليس التسوية – المؤامرة ؟

حجم التعنت الاسرائيلي :

لنعود الى السؤال اياه ، مرة اخرى : اذا كانت كل هذا الاطراف التي تعارض السياسة الاميركية ضمن نطاق التسوية لا تستطيع أن تفعل أكثر مما تفعله العوامل الثانوية فيما حدث وما يزال يحدث ، فلماذا اذن ، تعثرت جهود كيسنجر ، لدرجة وقف معها يذرف دموع التماسيح في مطار بن غوريون ، تعبيرا عن عدم رضائه وأسفه لخيبة أمله ، و اعلانا عن ايقافه ل «جهوده» الهادفة تحقيق « السلام» في منطقتنا ؟!

ان الاجابة التي روجها بعض الدوائر العربية والامريكية تقول ان عدم تحقيق ما جاء كيسنجر من أجله ، يرجع الى تعنت اسرائيل وعدم موافقتها على اقتراحاتهم التي وافقهم عليها (العزيز هنري) ! ومع ان تفسيرا كهذا ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار ، بيد ان التسليم به على انه السبب الاساسي وراء ايقاف كيسنجر لجولته و قطع محاولته مؤقتا ، أمر من شأنه أن يوقعنا بفخ الاحابيل التي يبرع الكيسنجريون في حبكها !

صحيح ان اسرائيل ابدت بعض التعنت في موقفها ولكن ما هو حجم هذا التعنت وما هي طبيعته ؟ وهل يعني أن اسرائيل ترفض التسوية السياسية المطروحة والتي تبذل اميركا جهودا مشهودة من أجل تحقيقها ام ان خلافا جزئيا نشب بين تقديرات كيسنجر للموقف المصري و بين تقديرات الاسرائيليين له ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة يوضحها كيسنجر نفسه باختصار شديد حين يقول ان (صديقي ابا ايبان قال لي يوما « في نظرنا أن تكونوا موضوعيين يعني أن تكونوا متفقين معنا مئة بالمئة » واذا لم نعد متفقين معهم الا بنسبة 98 في المئة . فانهم بالطبع يتحدثون عن تدهور علاقاتنا »)[203] .

ان كلام كيسنجر الصهيوني الذي لا يمكن أن يتطرق الشك الى اخلاصه لاسرائيل باعتباره عنصر ملتزم ومسؤول في الحركة الصهيونية ، يؤكد على ان اميركا واسرائيل كانتا متفقتين على التسوية ينسبة مئة في المئة ، بيد ان التطور الجديد الذي حدث ، والذي أدى الى الاختلاف في التقديرات لموقف اهل النظام المصري ... وبالتالي خلق تباينا في وجهات النظر . . . ان التطور يعود الى ان وجهة نظر الولايات المتحدة تغيرت عما كانت عليه سابقا بنسبة اثنين بالمئة . أي ان اميركا طلبت من اسرائيل أن تتفق معها بضرورة طلب السادات بالانسحاب من الممرات وآبار النفط ، دون النص على انهاء حالة الحرب والعداء علنا ، وانما ضمنا ، وان تبني اتفاقها مع مصر ، على أساس ثقة «العزيز هنري» بالسادات ، لان الاعلان عن انهاء حالة الحرب من قبل أهل النظام المصري ، أمر من شأنه أن يحرج موقفهم في هذه الظروف التي تتعرض فيها مصر لحملة اعلامية متهمة اياها بالانفرادية والحلول الثنائية ، وان اميركا لا تريد الاحراج لهم (سنعود الى هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد) .

واذن ، فان التعنت الاسرائيلي ، تعبير يطلق على عدم موافقة الاسرائيليين على وضع ثقتهم بالسادات بنسبة تتطابق تماما مع ثقة كيستجر به ، ولذلك طلب الاسرائيليون أن تكون المفاوضات مع المصريين مباشرة ، لكي يتأكدو ا من ان ثقة كيسنجر بالسادات غير مبالغ فيها ، بيد ان مطلب المفاوضات المباشرة ، كان مطلبا تعجيزيا للرد على مطلب المصريين (الانسحاب بدون شروط معلنة) .

من هنا يتضح ان دموع كيسنجر ، بقدر ما تعبر عن اسفه الشديد لوقوع هذا الاختلاف الجزئي بينه وبين الاسرائيليين . فانها تعبر و بشكل اوضح عن مدى ارتباط اهل النظام المصري بالولايات المتحدة الاميركية و ضلوعهم في ركابها ، و هذا الامر هو الذي يفسر لماذا اصبحت اميركا تثق بأصدقاء « العزيز هنري » ! ثقة جعلتها تختلف مع اسرائيل!

---

[203] الجرائد البيروتية (النهار ، المحرر ، السفير ... الخ) الصادرة في 20 – 4 – 1975 .

انتصار الثورة في الهند الصينية
واعادة النظر بالسياسة الاميركية

مما تقدم يتضح ان «التعنت الاسرائيلي» ليس هو السبب الاساسي وراء ما حدث ، ان كان بامكان كيسنجر أن يواصل جولته ويمارس اسداء توجيهاته للاسرائيليين والمصريين معا للوصول الى النتيجة التي يريدها ، بيد انه فضل التريث ريثما ينجلي الموقف في الهند الصينية لكي تستطيع الولايات المتحدة الاميركية أن تتصرف بهذه المنطقة وفي غيرها من مناطق العالم على ضوء النتائج المترتبة على ما سيحدث هناك .

وليس معقولا أن يبقى كيسنجر مقيما في المنطقة في وقت يتطلب فيه الوضع الذي تفجر هناك اثناء غيابه ، اتخاذ قرار خطير وتحديد موقف يفوق في اهميته ما يمكن أن يحصل هنا ، حيث ان ميزان القوى مضمون لصالح الولايات المتحدة الاميركية ولا خوف حاليا على مصالحها أو وجودها أو نفوذها ، بل العكس تماما فان الموقف المثير الذي ظهر فيه كيسنجر وهو يذرف دموعه ، قد أضفى شيئًا من العطف على أميركا اذ ظهرت وكأنها غاضبة على اسرائيل ومنحازة الى جانب مصر ، علاوة على ان النتيجة التي انقطعت عندها المفاوضات اتاحت مجالا واسعا ، لكل الاطراف لان تطور بمظهر «متصلب » « مبدئي » غير «خاضع» لاميركا ، فرابين حصل على تأييد كاد يبلغ الاجماع في الكنيست وتدعم مركز حكومته التي « ترسم سياسة اسرائيل بمعزل عن أميركا وعن كيسنجر نفسه » (!) رغم أن هذا الاخير يعتبر واحدا من المسؤولين في الحركة الصهيونية الذين يقررون سياسة ونهج ومواقف الحركة الصهيونية في هذه المرحلة ، ولعل الامر المثير هو ان مستشار النمسا ، كرايسكي يؤيد سياسة كيسنجر ووجهة نظره ، وقد أبدى استعداده مؤخرا لان ينظر بجدية بمسألة اقامة مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية[204] ، اذا ما قدم طلب بذلك ، فاذا كان كرايسكي وكيسنجر متفقان فكيف يجوز لنا أن نصدق بأن رابين يمكن أن يتعنت الى الحد الذي يمكن أن يتناقض مع السياسة الاميركية .
علما بأن رابين نفسه يعترف بأن فك الارتباط على جبهة القناة وانسحاب الجيش الاسرائيلي الى مواقعه الحالية قد تم بناء على طلب اميركا .

ومثلما وقف رابين وقفة الطاووس رافعا رأسه أمام اعضاء الكنيست ، فان السادات ووزير خارجيته هما الاخران راحا يعددان مناقب حكومتهما التي لا تحيد عن « خط الالتزام المبدئي الصارم بحق العرب والفلسطينيين » !

هكذا كانت عملية الاخراج لما سمي ب «الفشل » ، فرصة اتاحت لجميع الاطراف أن تبتز ما شاء لها الابتزاز ، وان تدعي بدون احراج ادعاء ، ساعدها على نشر موجة جديدة من التضليل والخداع .

لقد ظهرت جميع الاطراف ، كما يظهر المتمرغ بدم القتيل ! باستثناء كيسنجر ، فانه حاول أن يمثل دور القتيل – الضحية ، التي لا جرم لها ، ولا حول ولا قوة لديها !

ان ضغط تطور الاوضاع في كمبوديا وفيتنام قد وضع كيسنجر أمام خيارين اما أن يعلق مهمته هنا ، و يعود لمتابعة الاوضاع هناك و اما ان يتسرع في الضغط على اسرائيا و مصر للاتفاق على انسحاب جزئي ليس ذي شأن كبير بحيث تبدو الخطوة هزيلة لا تتناسب مع الجهد الذي بذل من جهة وعلاوة على ان خطوة كهذه سوف تضيع في خضم أحداث الهند الصينية ، فانها كانت تسيء الى أميركا والى مصر اكثر من أن تخدمهما ، لذلك فان القول بفشل كيسنجر مبالغ فيه ، و لا يمثل الحقيقة كلها ان لم يكن يستهدف تغطية النوايا الاميركية من جهة اخرى !

ان المباحثات المطولة و المتشعبة التي اجراها كيسنجر بين الاسرائيليين والمصريين ، كانت أهم من اية مباحثات سابقة واكثرها خطورة ، اذ انها قد وضعت التسوية السياسية لاول مرة على طاولة التفاصيل الصغيرة الامر الذي اظهر خلافات لم تكن منظورة قبل مجيئه ظهورا جعل كيسنجر مقتنعا بأن حلها لا يتطلب وقتا و جهودا مكثفة فقط و انما يتطلب تغييرا في الاسلوب ذلك ان طلب رابين أن يجتمع بالسادات لكي يتفقوا على حل مناسب للخلافات بين حكومتيها ، قد احرج الموقف لدرجة ظهر معها ان اسلوب المفاوضات المباشرة بين الاسرائيليين والمصريين هو الاسلوب الاجدى ، ولما لم يكن بوسع

---

[204] راجع الصحف البيروتية ليوم 19 / 4 / 1975 النهار مثلا .

السادات في ظل الظروف الراهنة أن يقدم على خطوة كهذه الخطوة ، قد تبدو سابقة لاوانها ، فقد وجد ان العودة الى جنيف حيث يلتقي السادات ورابين والاسد والملك حسين وأبو عمار تحت رعاية واشراف اميركا والاتحاد السوفياتي ، التقاء ان لم يصل الى نتيجة مرضية بالنسبة لاسرائيل و أميركا ، فانه سوف يجعل من اسلوب المفاوضات المباشرة اسلوبا يمكن اتباعه بين الاطراف المتنازعة بدون احراج أو خشية من ان تتهم مصر بأنها سائرة بطريق الانفراد بحل ثنائي يخرجها عن التضامن مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية !

ان موقف الاسرائيليين و آرائهم بصدد هذا الموضوع واضحة وآخر ما قاله رابين : (لن تتمكن من بحث امكان اجراء مفاوضات جديدة من أجل السلام الا بعد تسوية خلافاتنا مع الولايات المتحدة .
ان التعاون والتفاهم الوثيق بين اسرائيل والولايات المتحدة ، يعدان شرطان لا يمكن من دونهما تجنب اندلاع حرب جديدة)[205] .

وأشار الى ان مؤتمر جنيف يجب الا يعقد « ما لم يجر اعداده بحيث يباشر فورا المفاوضات الثنائية بين مصر واسرائيل للتوصل الى اتفاق جزئي ») .

واذن فان المفاوضات المباشرة هي الاسلوب الذي ينبغي ان يتبع لانجاز الخطوات الجديدة ، وصولا « للسلام» الذي هو الغاية النهائية التي تنشدها اطراف معسكر التسوية المشؤومة !

الحلول الثنائية المنفردة وتضامن مصر مع
سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية

ولكن لماذا يخشى السادات اتهامه بالحلول الثنائية ، بل لماذا يرفض الانفراد بحل ثنائي يخرج مصر من المشكلة التي تعانيها ؟

ان الجواب على هذا السؤال ، يفرض علينا أن ننبه الى ان مروجي اشاعة انفراد مصر بحل ثنائي يخرجها عن دائرة التضامن مع سوريا ومنظمة التحرير ... ان هؤلاء يسهمون بوعي أو بدون وعي ، بتضليل الجماهير وايهامها ، بأن مصر تتبع سياسة المحل الثنائي ، وعلينا أن (ننظم جميع القوى الفعلية من مواقع المعارضة الايجابية حتى لا تقع مصر في خندق التسويات الثنائية أو تتمكن السنارة الاميركية من جر الحوت المصري الى جانبها)[206] على حد تعبير ابرز مروجي هذه الفرية .

ان التضليل في ترويج مثل هذا الكلام يتضح اذا ما عرفنا طبيعة دور اهل النظام المصري في تنفيذ المخطط الاميركي المعد لهذه المنطقة . ولكن قبل الدخول في الكشف عما يريده مروجو اشاعة انفراد مصر « بحل ثنائي » ورفع راية منعها من التورط في ذلك ب(تصليب مواقعها الوطنية) ... قبل ذلك لا بد من التوضيح ان التسوية الثنائية المقصودة التي يخشى دعاة الحل السلمي وقوع مصر في خندقها ، هي التسوية التي تعقدها مصر مع اسرائيل بتوجيه من اميركا ، لكي تخرج من دائرة التضامن مع سوريا ومع اهل منظمة التحرير الفلسطينية .

ان السؤال الآن هو : هل يمكن أن يقبل أهل النظام المصري الوقوع في خندق تسوية كهذه ، أي هل تقبل الطبقة البرجوازية الحاكمة في مصر أن تنفرد بتسوية ثنائية تنهي بموجبها حالة الحرب مع اسرائيل دون أن تكون سوريا وأهل منظمة التحرير الفلسطينية مشاركين بهذه التسوية أو مباركين لها ، كما حدث في وقف اطلاق النار وفك الارتباط على الجبهة المصرية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب تنطوي على قدر كبير من التضليل والخداع ، لانها تتناقض مع الحقيقة القائلة بان السمة الغالبة على اهل النظام المصري هي الموالاة ان لم نقل العمالة لاميركا ، فاذا كانت سياسة اهل النظام المصري تقوم على اساس التحالف مع أميركا ، واذا كانت اميركا تريد من كل الجهد الذي تبذله من أجل تحقيق التسوية السياسية وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، أن يكون وسيلتها لفرض نفوذها على المنطقة كلها فان خروج مصر من دائرة التضامن مع سوريا وأهل منظمة التحرير الفلسطينية أمر من شأنه أن يفقد قدرة مصر على لعب دورها في تنفيذ المخطط الاميركي ، ذلك ان انفراد مصر بتسوية ثنائية مع اسرائيل ، لا يؤدي الى عزلتها فقط ، وانما يظهرها امام الملأ عارية على حقيقتها باعتبارها احدى مواقع النفوذ الاميركي و العمالة للامبريالية مما يفقد اهل النظام كل امكانية للادعاء بأنهم ورثة تراث ثورة تموز 1952 ، و هو الامر الذي ما

---

[205] صحيفة النهار البيروتية في 19 / 4 / 1975 .

[206] حواتمة : مجلة الحرية البيروتية العدد 650 في 17/12/1972 .

زالوا يستخدمونه لتمويه جوهر سياستهم من جهة ، و من شأن العزلة أن تجعلهم عاجزين عن مواصلة الاضطلاع بدورهم الهادف تجنيد سوريا و أهل منظمة التحرير الفلسطينية للضلوع مع المخطط الاميركي ، من جهة اخرى ، كما ان انفراد مصر و انعزالها من شأنه أن يفقد السعودية المظلة المصرية التي تتحرك في ظلها ، فقدانا يضعف دورها و يضائل قدرتها على التحرك في المحيط العربي من جهة ثالثة ، و فضلا عن كل ما تقدم فان القول بان السياسة الاميركية تسعى لاخراج مصر من دائرة التضامن مع سوريا و أهل منظمة التحرير ، لا بد أن يبنى على اساس ان اميركا تعد لحرب خامسة لا تكون مصر طرفا فيها ، بغية اسقاط النظام السوري و احتلال دمشق من جهة رابعة !

هذه هي النتائج المنطقية المترتبة على الادعاء بأن السياسة الاميركية قائمة على أساس اخراج مصر من دائرة التضامن مع سوريا ومع أهل منظمة التحرير الفلسطينية وهي نتائج تحتم عودة اميركا الى سياسة العصي الغليظة واسلوب الاستعمار القديم ، و تعريض كل ما حققه كيسنجر من مكاسب للولايات المتحدة الاميركية في المنطقة للضياع و الانهيار ، فهل يعقل حدوث ذلك ؟ ومن اجل ماذا ؟ اذا كان الغرض هو حسم موقف سوريا الذي يبدو وكأنه يتذبذب بين اميركا والاتحاد السوفياتي وبتعبير أدق تبدو سوريا مترددة في موقفها أحيانا وفاترة الحماس تجاه التحالف مع اميركا أحيانا اخرى اذا كان هذا هو الهدف من العودة الى السياسة القديمة فان هذا الامر لا يتطلب مغامرة قد تدفع اميركا ثمنها غاليا ، ويكفي أن يتراءى لاميركا ان حربا خامسا تشنها اسرائيل ستكون بمثابة الزيت الذي يلقى على نار الثورة الشعبية التي تبذل اميركا و عملائها القدامى و الجدد جهودا مثابرة من أجل اخمادها ... نقول يكفي أن يتراءى لاميركا مثل هذا الامر لكي تتجنبه ، ثم هل ان موقف سوريا على درجة من الصلابة بحيث انه يشكل تناقضا لا يمكن حله بغير الحرب ؟

أن السياسة السورية لا تتناقض مع السياسة المصرية الا جزئيا وضمن حدود التفاصيل التكتيكية ، وهي حدود بوسع مصر والسعودية وأميركا تذليلها ، بالف وسيلة ووسيلة ، فهناك الجولان وانسحاب اسرائيل من معظم أراضيه وهناك ملايين الدولارات التي يحتاجها ميزان المدفوعات السوري وهناك الميول و الاهواء الاميركية التي يتعاظم نفوذها في أوساط النظام السوري و يزداد يوما بعد يوم ، ازديادا من شأنه تضييق شقة الخلافات الجزئية التكتيكية الامر الذي يفقد التفكير بالحرب مبرراته و حيثياته .

وفضلا عن كل ما تقدم فان هناك اسبابا تمنع الولايات المتحدة و تحول دون العودة للسياسة القديمة و اخرى تدعوها الى الاستمرار على السياسة الحالية و يمكننا ان نوجزها بما يلي :

ان الازمة الاقتصادية الخانقة التي تعانيها الولايات المتحدة الاميركية خاصة والبلدان الرأسمالية على وجه العموم أولا ووجود المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفياتي باعتباره قوة نووية رادعة لنزعة الحرب ثانيا .

أردت أن أقول ان الاوضاع الدولية ، تشكل اليوم عوامل رادعة تجعل الولايات المتحدة تحسب ألف حساب قبل أن تقدم على اتخاذ قرار خطير كقرار العودة الى سياسة الاستعمار القديم خاصة بعد الدرس القاسي الذي لقنه اياها الثوار الفيتناميون والكمبوديون !

هذه هي الاسباب المانعة ، أما العوامل الداعية الى الاستمرار على السياسة الحالية ، سياسة الاستعمار الجديد ، فيمكن تبيانها بسهولة اذا ما ألقينا نظرة سريعة الى اوضاع منطقتنا العربية وقمنا بعملية حسابية لتناسب القوى فى المنطقة . فسنجد ان هناك الانظمة الرجعية وسائر القوى السياسية والثقافية والاقتصادية التي ترتبط بالامبريالية رباط تبعية وعمالة . ويكفي ان نرى الدور الذي تلعبه السعودية والاردن في هذا الميدان . لكي نعرف مدى قوة وتأثير هذه القوى ، والى جانب العملاء القدامى يقف حلفاء اميركا الجدد ، ولعل الاستقبال الذي حظي به نيكسون والثقة التي ما فتىء اهل النظام المصري وحلفائهم يمحضونها لكيسنجر وفورد[207] ، تكفي لايضاح ان الأنظمة البورجوازية الضالعة مع التسوية السياسية التي ترسمها اميركا للمنطقة تشكل قوى حليفة يمكن ان تضاف الى معسكر اميركا وحلفائها .

هذا في الجانب العربي ، فاذا اضفنا اسرائيل باعتبارها احدى القوى الرئيسية التي تعتمد عليها اميركا في رسم سياستها في المنطقة، فاننا سوف ندرك ان اوضاع منطقتنا تدعو الولايات المتحدة وتشجعها على اتباع السياسة الكيسنجرية الراهنة !

فاذا كانت الولايات المتحدة الاميركية لا تحبذ العودة لسياسة العصي الغليظة لجملة الاعتبارات التي ذكرناها ، فلماذا يصر دعاة الاستسلام على ترويج اشاعة انفراد مصر بحل ثنائي يخرجها من دائرة التضامن مع سوريا و مع أهل منظمة التحرير ؟

---

207 وصف الرئيس السادات فورد بأنه (مقاتل من أجل السلام) !

ان الغرض واضح ، وهو تضليل الجماهير وايهامها بأن انخراط المقاومة الفلسطينية في التسوية السياسية من شأنه ان «يصلّب »المواقع الوطنية ، مع ان الامر على العكس من ذلك تماما ، اذ ان اهل النظامين المصري و السوري سوف يستغلون سقوط المقاومة في مستنقع التسوية السياسية ليتخذوا منه غطاء فلسطينيا لتزيين تصالحهم مع الحركة الصهيونية و اعترافهم باسرائيل بعد ان ينهوا حالة الحرب معها ، لانهم يعرفون جيدا ، ان رفض المقاومة للتسوية من شأنه أن يجردها من شرعيتها و يظهرها على حقيقتها باعتبارها صفقة خيانة للتنازل عن فلسطين الى الحركة الصهيونية مقابل انسجاب اسرائيل من سيناء و الجولان !

واذن ، فان مصر السادات لا يمكن أن تقدم على حل يخرجها من التضامن مع سوريا و مع منظمة التحرير . فاذا ما اقدمت على اية خطوة أو حل ثنائي بينها وبين اسرائيل ، فلا بد أن تكون قد اتفقت مسبقا مع سوريا ، للانفراد بعمل تتخذ منه سوريا ذريعة للسير على هدى مصر كما حدث عندما اقدمت مصر على ايقاف اطلاق نار في حرب تشرين ، اذ كانت سوريا موافقة ولكنها بادرت الى الادعاء بأن مصر لم تأخذ رأيها ، علما بأنها ، أي سوريا طلبت ايقاف اطلاق نار ثلاث مرات قبل أن توقفه مصر ، ولكنها كانت تتظاهر بعكس موقفها الارتباط فان سوريا كانت موافقة ، بدليل انها عقدت اتفاقا مماثلا ، ولكن بعد حرب تكتيكية استغرقت ثلاثة شهور من أجل أن توهم الجماهير بان فك الارتباط تم تحت ضغط و ابل النيران ، من جهة وبدليل ان «خدام» استعار منطق اهل النظام المصري في اطراء كيسنجر وتقديم آيات الولاء له لانه على حد ادعاء السيد خدام « أول مسؤول اميركي نسمع من شفتيه اللفظ الواضح لهدف سلام عادل و دائم في الشرق الاوسط » ، و كل هذا من أجل أن يتفضل ويمن عليهم بعقد اتفاق مماثل لما حصل على الجبهة المصرية ، من جهة اخرى !

الخلاصة ... والعبرة !

أولا – ان كيسنجر لم يفشل و انما اعاد النظر باسلوب عمله لكي يجعل من المفاوضات المباشرة بين الاسرائيليين والمصريين والسوريين وأهل منظمة التحرير الفلسطينية ، اسلوبا مقبولا لعقد اتفاقات فك ارتباط جديدة واتخاذ خطوات اخرى على طريق التسوية النهائية وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل .

ثانيا – ان السبب الرئيسي وراء ايقاف كيسنجر للمفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين بوساطته يرجع الى احداث الهند الصينية و الى هزائم عملاء اميركا في كل من كمبوديا و الفيتنام ، والانتصارات الساحقة التي تكللت بها الثورة هناك ، ويليه في الاهمية التعنت الاسرائيلي ورغبة كل من مصر واميركا بعدم التورط باتفاقات هزيلة لا تصلح أن تتخذ ستارا للدعاية لاميركا وللتطبيل للأستسلام

ثالثا – أما موقف أهل النظام السوري وأهل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والسوفيات والاحزاب الشيوعية العربية وكل الزاحفين على بطونهم والمتهالكين على المشاركة بعملية التنازل عن « فلسطين » ... أما موقف هذه الاطراف كلها ، فلم يستهدف افشال كيسنجر بقدر ما كان يمسك بطرف خيط لعبة التسوية الآخر ، ففي الوقت الذي كان فيه كيسنجر يواصل عمله ويسدي توجيهاته لكل من المصريين والاسرائيليين ، نشطت هذه الاطراف مستغلة جو الاثارة التي ولدها حضور كيسنجر الى المنطقة ، لكي تقوم بحملة اعلامية مكثفة و مركزة لاظهار «مؤتمر جنيف» وكأنه البديل الوطني للسياسة والاسلوب الاميركيين في المنطقة ، وقد كشفت هذه الاطراف حقيقة موقفها ، حين راحت تتبارى متهالكة على كسب موافقة اسرائيل على التعاون من أجل انجاح مؤتمر جنيف !

رابعا – ان اهل النظام المصري ، باتوا يلعبون دورا كبيرا يميزهم عن غيرهم ممن تحاول اميركا تجنيدهم لخدمتها في منطقتنا . ولكي يستطيعوا أن يؤدوا دورهم على الوجه الاتم فهم بحاجة لستار من التضليل شأنهم شأن كل الضالعين مع الامبرياليين اولا وان يريطوا قضية الانسحاب من سيناء بقضية الانسحاب من الجولان واقامة الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ، لكي يستطيعوا أن يمارسوا ضغطهم ويسدوا توجيهاتهم لأهل النظام السوري واهل منظمة التحرير الفلسطينية ، ثانيا ، وانهم يخططون مع السعودية واميركا من جهة ومع سوريا ومنظمة التحرير من جهة اخرى والهدف من ذلك كله هو أن ينجحوا بانسحاب اسرائيل وانهاء حالة الحرب معها وجعل الكلمة الاولى للولايات المتحدة الاميركية في المنطقة كلها ، من جهة ثالثة ، على أن يتم ذلك كله تحت مظلة فلسطينية – سوفياتية بغية التخفيف من بشاعة صفقة التنازل غن فلسطين للحركة الصهيونية من جهة رابعة ثالثا .

خامسا – هناك تناقضات بين مختلف الاطراف التي يجمعها مؤتمر جنيف ، ولكنها تناقضات ثانوية بحكم كونها ناجمة عن التباين بين تصور اميركا من جهة وتصور السوفيات من جهة اخرى لكيفية اخراج التسوية السياسية . وقد جاء اهتمام

السوفيات بنجاح مؤتمر جنيف وتصريحات غروميكو عن الضمانات السوفياتية لحماية اسرائيل وضمان امنها مقابل موافقتها على الانسحاب من الجولان و قيام الدولة الفلسطينية ... جاءت تلك التصريحات لتكشف مدى التضليل بادعاءات ابطال الاستسلام في اوساط المقاومة الفلسطينية وبشكل خاص ادعاءات نايف حواتمة عن الدولة المقاتلة التي اسيقيمها في الضفة والقطاع بالاعتماد على الاتحاد السوفياتي . لقد انكشفت اهم الاوراق ولم يبق شيء في الخفاء . واذا كنا ننتظر شيئا فهو مشاهدة مسيرة استعراض قوات الجبهة الديمقراطية وفتح الصاعقة في شوارع دمشق والقاهرة وبيروت وعمان بمناسبة قبول اهل منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مستقلا غير منقوص الحقوق والواجبات في « مؤتمر جنيف » !

هذه هي الخلاصة ، اما العبرة فنستمدها من هناك ، من بعيد حيث يعاد صنع التاريخ في ارض البطولات والثورة الحقيقية ، ثورة العمال والفلاحين وسائر الجماهير الكادحة ، الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية الاشتراكية التي تنتصر في الفيتنام وكمبوديا !

انه لمن سوء حظ المستسلمين ، ان تجيء انتصارات الثورة الفيتنامية في هذه الايام ، لتكشف للجماهير العربية حقيقة القيادات البورجوازية التي تحارب اسرائيل و هي تحمل « الرايات البيضاء » ، وتهتف دون خجل او حياء : « عاشت اسرائيل » و « لتسقط الحرب معها و حالة العداء » ، و « لتحيا الصداقة الاميركية و الاخوة الاسرائيلية العربية » !!!

اسمعوا أيها المستسلمون !

شعوب ، صغيرة جدا ، سبعة ملايين تعددا شعب كمبوديا ٠ واربعة عشر مليونا تعداد شعب فيتنام الجنوبية قاتلت ثلاثين سنة دون كلل او ملل وفق اسلوب الكفاح المسلح ومبادىء حرب التحرير الشعبية القائلة بامكانية هزيمة ما هو عصري بما هو بدائي وما هو مادي بما هو معنوي قتالا عزز ايمانها ووطد صلابة عزيمتها وعاظم زخم اندفاعها تعاظما لم يبق امام الامبريالية منفذا تنفذ منه بجلد سفيرها وعلمها غير سطح سفارتها فولت الادبار هاربة بعارها مرغمة على التخلي عن ستراتجيتها وتكتيكها غير سائلة عمن تبقى من عملائها والنتائج الوخيمة عليها وعلى حلفائها مدركة ان البلدان الرأسمالية التي على شاكلتها سوف تتأثر سلبا بهزيمتها بيد ان امرا واقعا قد فرضته ارادة الثوار الحديدية فى ظل سياسة الوفاق الدولية فرضا طبع الذل والعار على جبين زعيمة الامبريالية واعطى درسا مشجعا للشعوب الصغيرة التي تنشد الحرية و اكد سمة العصر العتيدة التي خلقتها ثورة اكتوبر المجيدة تأكيدا اعلن عن بداية مرحلة جديدة في الصراع بين الطبقة العاملة والبورجوازية في كل انحاء الكرة الارضية !!! .

ارايتم ايها المستسلمون كيف تتحقق الانتصارات بدون قنابل ذرية وطائرات ؟

كلا انكم لم تروا ولم تسمعوا لانكم قد اصبحتم ايها السادة مسلوبي الارادة بحكم طبيعتكم الطبقية البورجوازية ومصالحكم الذاتية ومازبكم النفعية الانتهازية بينما تتطلب الارادة الثورية التي تحقق الانتصارات الحتمية طبيعة بروليتارية وايمانا بالماركسية – اللينينية لكي تنتصر الثورة على الامبريالية وتستطيع الثورة الوطنية الديمقراطية الواصول الى الاشتراكية دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالية قي عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ؟

ان شعبنا العربي بقيادة العمال والفلاحين وكل المؤمنين من المثقفين الثوريين الحقيقيين لن يسمح لكم باقتراف الخيانة وانهاء حالة الحرب مع الصهاينة المجرمين وسوف يرد على تخاذل المتخاذلين وتآمر المتآمرين ودسائس الاصلاحيين والانتهازيين بحرب شعبية طويلة وصعبة تحرر الانسان والارض المغتصبة وهو يهتف بقوة ويردد عاليا قول الشاعر الجواهري دون ان تهن له عزيمة ونخوة :

ستدوس اقدام الشعوب كخرقة
مهروءة من كان سوط بلاء
سيرون كيف تجيد في ابانها
ترمى الطغاة سلاسل السجناء
سيرى عتاد الاجنبي بعينه
مرمى عقيدة امه عزلاء
ستعود تصهر طلقة وقذيفة
صنع المعاجز جمرة البغضاء